

كاهنة



تأليف

أحمد صبري

كاهن آمون

مسرحية فرعونية

بقلم

احمد صبرى

يطلب من الناشر
مكتبة النهضة المصرية
١٥ — شارع المدابغ بمصر

مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

الاهداء

إلى وطنى الذى تحده عقيدتى ؟

المؤلف

مقدمة المؤلف

وضعت هـذه الرواية فى مُنعزَل على حافة الصحراء ، فى جنوب القاهرة . وضعتها فى كوخ قديم تحف به حديقة حزينة مؤلفة من بضع شجيرات ، فى هـذه المنطقة الموحشة حيث امتـلأت رأسى من صور الأجيال القديمة وأطيافها ، وازدحمت عيناى من عبرات الجيل الحاضر وآلامه كان لابد أن أكتب شيئا .

كنت مريضا ، وكنت وحيداً ، وكانت أنفاسى على احتراقها تتردد بين الطفولة والشباب . وفى هذا الـكوخ الذى فصله العالم عنه ، وفصلى العالم معه ، مرت على مخيلتى وهى فى دور التـكوين تلك اللفحات الملتهبة الآتية من صميم الصحراء حاملة معها كل عناصر التشاؤم واللانهائية والتفـكير فى الموت . فتعلمت من ذلك الـكبرياء على الحياة ، وعلى متاعها الزائل ، وعلى الزخرف الموهوم

وتهافتت على جسدى فى جدار هذا الـكوخ ، من أذرع الشجرات القليلة ، المتطوحة فيما حولى ، تلك النفحات الخصيبة الخارجة من أعماق الظل والنمو والراحة . فاستوحيت من ذلك الشعر ، وتملـكنى الشغف الحزين بالبقاء والحياة

فى هذا الجو الرهيب طالعت التاريخ لهذه القصة ، ووضعت صورتها التخطيطية الأولى ، وعرفت أبطالها ، وحالمت بهم .

* * *

ولقد قدر لى بعد ذلك أن أهبط القاهرة . وأن أسير متثاقلا كالغريب بين عمائرها الشاهقة ومغاورها الفقيرة . ولكننى مع ذلك الصخب السائد ألفيت نفسى ساكناً ، فكأنى لم أغادر بعد ذلك الكوخ البعيد . وبدا وقع خطاى متبايناً عما حوله . وكأنما ظل عميق هابط من مكان مجهول يحتوينى أينما سرت . وكلما أشرقت الشمس زادتنى نظراتى التائهة إليها إيمانا بأنى لم أفق بعد من أحلامى !

وأويت هذه المرة إلى مكان مرتفع على شاطىء النيل ، يشرف على محلة صغيرة للعمال المهاجرين . ومن هذه الذروة أخذت أشرف على مجرى النهر العتيق وهو يسير فى طريق واحد ، وإلى نهاية واحدة ، مع مواكب العمال المكدودين الفقراء . وفى هذه الوحشة الجديدة التى ألمت بى تكونت آرائى عن الحياة ، وعن آلام هذا الوطن . وفى جوف الكهف الذى أحييت فيه أبطال قصصى وضعت كتابى الأول « بعث الآلهة » ورتبت أوراق هذه القصة .

* * *

تقدمت هذه القصة إلى مسابقة حكومية عامة وكان نصيبها الاهمال ، فتلك التربة التى اختُبرت فيها لم تكن قادرة على إنباتها . وهكذا عصفت الاقدار بأول تجربة جدية لى فى الحياة ، وسقط فى يدى وأنا فى الثالثة والعشرين أول مصباح أشعلته فى طريقى

على أنه كان مصباحا فى مكنتى أن أظل على إشعاله إلى الأبد ، فلم تكن صدمة ، ولكنها كانت مادة للتفكير . ترى أى مقياس للآداب

والفنون يمكن أن يقاس به الانتاج أيا كان فى مثل هـذا البلد المتناثر الذى ما تزال أشلاؤه تتجمع من كل مكان لتكوّن وطنا جديدا تدب فيه الحياة ؟ وترى أى نوع من الحقائق الفنية هذه الحقيقة العصية التى تسيطر على رقعة مصر محدودة بضوئها وسكونها ورخائها ، ومجرى نهرها الخالد القائم ؟ وترى أى غاية من الغايات الأنسانية البعيدة يتطلع إليها مثل هذا الشعب الذى مازالت تترقرق عبراته فى مطلع كل شمس ، وتغيض قواه عند إشراف كل ظهيرة ، وتتوهج أحلامه فى مسيل كل غروب ؟

أما مقياس الانتاج الأدبى والفنى فما أدرى كيف يستوى نهجه ، ويستقيم ظله دون أن تتفتح هذه الملايين من العيون الساجية التى لم يمسسها بعد سحر العلم ، ولم يفتضها اكتمال المعرفة . فهذا الشعب الضرير الجاثم على كنوزه مايزال منذ عشرات السنين أو مئاتها يتنفس فى الحياة التى لا يراها من غير مقياس للآداب والفنون . بل كيف تكون بالبديهة آداب وفنون فى بلد ألقى سلاحه منذ أمد طويل فى معترك الحضارة ، هذا السلاح الذى هو العلم وصحة الادراك !

حقا لقد اتجه بعض الجهد منذ حين إلى محاربة الأمية ، ولكن الأغلبية مازالت حتى اليوم تجرجر أذيال الجهالة وتبعاتها . فما تزال الحال كما كانت عليه . بل لقد جاءنا العلم الذى وضع الأجانب سياسته بآفات ومشاكل لا قبل لنا بها . أما على مسرح الفن ، والفن هو اشعاع الثقافة ، فالذى حدث حتى الآن هو أن جماعة من الأذكياء وثبوا إلى عروش للمادة أقاموها بأيديهم وأسنانهم على عجل ، ثم أذاعوا على

الناس من هذه المنابر المرتجة ألوانا مختلفة من الأدب والموسيقى والرسم والتمثيل ، ثم بادروا فاعترفوا فيما بينهم بهذا الذى أذاعوه على أنه الفن وحده دون أى فن غيره ، ثم تحالفوا أكثر من ذلك على أن يكون لهم دون غيرهم حق إلقاء الضوء على كل « فنان » قد يعرف بذكائه طريق الوصول إلى قلوبهم !

ولما كان الفن الحقيقى لا يظهره الجاه ولا الثروة ولا الذكاء الاجتماعى ، وإنما استناده كله إلى ذوق مجتمع راق مثقف ، أو الى امتحان الأيام وتأييدها فأن الفن الحقيقى فى مصر مايزال فى قلوبه وأكمامه رهينا بصحو هذا الشعب الثمل الذى يتخبط فى مس من الجوع والشيخوخة والحرمان ، ويتساقط فى حبائل الطامعين والمنحلين

وهكذا بينما يفرض اولئك المنمقون الأذكياء فنونهم فى دائرة ضيقة من المصالح الذاتية ، ومن ركود العواطف المفتعلة أخذ الشعب من تلقاء نفسه يخلق فنونه خلقا ميتا على قدر طاقته وحاجته وإلمامه . فاختلفت المقاييس فى كل مكان ، وتعددت صور الفنون الشعبية وأشكالها ، وأصبحت فى مظاهرها متلونة متناقضة كتلون الأزياء والبيئات وتناقضها

تلك هى الحقيقة الخطيرة التى لا مفر منها ، فلو أن إنساناً ما كان فى مقدوره أن يستشف للمعانى والعواطف صوراً وأشكالا وألواناً لاستطاع أن يبصر من الفنون الضائعة السائدة فى مصر فنون الفلاحين العجاف ، مصابة بالبلاجرا ، وهى تمضى فى جلابيب زرقاء ، وفى كل مكان فى هذا الوادى

يحمل الهواء أنينها إلا الآذان ، مرسلا فى شدو الناى الحزين ونغم الموال المتهدج . وفنوناً أخرى ناعمة مخنثة ، تتأوه فى أطراف العواصم مستمدة إلهامها من جمال المرأة الشعبية المحجبة ، ومن سرها الممتنع فى غيابة صمتها وأحلامها . وفنوناً غيرها ذات بطاش وحماقة وهيمان ، تحمل فى يدها هراوات ، وتتعمم بلا ذات حريرية ، وتتخطر فى طريقها مكتسحة كل شيء باسم الصبا والجهالة والفتوة .

فالأثر الفنى الوحيد الذى يستطيع أن يسجله تاريخ هذا العصر إنما ينتهى إلى تلك الفنون الرسمية المفروضة التى نوهنا عنها والتى قامت على أساس المبادىء التى أذاعها الاستعماريون الأجانب ممن احتكروا التعليم فى مصر زمنا طويلا . هذه الفنون التى اغترفها أصحابها من فيض أوروبا ، ثم تقدموا بها باسم العقلية المصرية الحديثة ، وصفق لهم وروج لبضاعتهم أولئك الطفيليون الذين لاتربطنا بهم فى الواقع رابطة فى الآمال ولا الغايات ولا الشرائع ، وإنما نعانى من نشاطهم وحيلتهم وتدميرهم مثل ما عانت الدولة الجرمانية القديمة من عصابات اليهود والفوضويين

« * »

وإذا وجب علينا الحديث بعد ذلك عن الجو وعن الطبيعة وهما اللذان يحددان ميول السكان الفنية وغاياتهم الاجتماعية كان علينا أن نذكر أن كتابا مصريين حملهم اليأس على أن يقولوا إن انسياب النهر فى مصر ، وضوء السماء ، وهدوء الوادى عوامل لاتبعث فى مصر فنوناً قوية كتلك التى تنبثق من اصطدام العناصر الطبيعية فى أوروبا وتفاعلها

إن الطبيعة فى داخل كل حدود جغرافية هى التى تخلق قومية الشعوب وتطبعها بطابعها الخاص . فعناصرها المختلفة حين تنصب على السكان فى مظاهر العواصف المجتاحة ، أو الغابات المحدقة ، أو الأمطار الغزيرة، أو السكون الدائم ، أو الشمس المشرقة إنما هى بمثابة أحماض هاضمة تكون من تفاعلها بالمجموعة البشرية التى تؤثر فيها ، داخل تلك الحدود المعينة ، سلسلة الصفات والمزايا التى تعرف بها هذه المجموعة . ومن البدهى أن تعدد هذه العناصر الطبيعية يعتبر عاملا فى خلق حالة تعادل تنشط فيها كل ميول الشعب المتأثر بها وغرائزه ، متولدا هذا كله من ضرورة كفاحه المتصل فى جميع الاتجاهات

أما فى مصر ، حيث يواجه السكان عنصراً واحداً فعالا من عناصر الطبيعة هو عرض الأفق البعيد ، وسيطرة السكون الشامل ، فى مثل هذا الرخاء والاعتدال الذى لا كفاح فيه فان الأثر الذى تتركه الطبيعة فى حياة السكان إنما هو أثر بليغ سحيق ينصب عليهم من جانب واحد غالب محير ، كما يحدث أن يقع الرجل المترف تحت تأثير أعين مغناطيسية نفاذة .

ولكى ندرك حقيقة هذا الوضع الطبيعى الخطر نستطيع أن نتخيل الفرق بين فلاح فرنسى يشغله عقم الأرض وبرودة الجو واشتباه الليل بالنهار عن التأمل فيما وراء المتاعب التى تحيط به ، وبين فلاح مصرى ينتهى عمله فى مواقيته فيقف تحت الشمس الدافئة ، أو يستلقى تحت ظل شجرة وارفة ليطلع فى تأمل عميق الى الأفق الذى يمتد حوله حتى مالا نهاية ، مطبقا

عليه بحقائق الوجود كلها إطباق محيط محض عظيم على ذرة قلوية تائهة .

ان البوصلة فى مصر لا تكاد تتحرك ، أو تشير إلى أى اتجاه ، فهى فى منطقة شديدة المغناطيسية ، نهاية انفعالها السكون . فكل مصرى مايزال برغم الفاقة يسير على أرض وثيرة كالمضجع شديدة الاغراء بالراحة ، ويتطلع الى أفق براق كالمرآة قوى الأثارة على التأمل .

كم من الآراء والخواطر والمذاهب تمر على أذهان الناس فى هذا الجو المسحور ، ولكنها تمر كهبات النسيم ، لا تكاد تمتلىء منها رئة ، أو تنشغل بها رأس ، وهكذا يظل كل شىء على حاله وتبتلع الطبيعة كل شىء

نعم ، ففى هذا البلد الذى لا يموت فيه الموتى لأن الطبيعة تبتعث صورهم وأشباحهم منذ كانوا ، فى ضوء الضحى ، وفى صفاء السماء ، وفى استطالة الزمن تولد شعور الحزن العميق فيما بين كل انسان وبين نفسه ، وطفت مظاهر الدعابة والاستهتار على حياة الناس العامة ، ومن هنا أصبح شعور اليأس وسرعة الانفعال وضعف الطاقة لازمة من لوازم المصريين حدت بالكثيرين من الكتاب الذين تحدثوا عن طبيعة مصر الى الطعن على قوة تأثيرها .

ولكن إذا كان تضارب العناصر واصطدامها غير متوفر فى مصر . وإذا كان المصرى يعيش فى وسط هذا السكون الشامل ، وتحت الشمس الدافئة فى رخاء جثمانى يجعل عقله وروحه على أتم الاستعداد للتأثر الشديد المباشر بالمعانى الغامضة المنبعثة مما وراء الحياة ، فيصبح منذ نشأته شديد

التعلق بالأساطير والخرافات ، سريع الانفعال ، مترف المبادىء ، سهل القياد ، لا قدرة له على تزعم نفسه . . . إذا كان الأمر كذلك فان الأمل لا ينبغى أن يتبدد فى امكان إيجاد ذلك العنصر الشديد المنبه الذى يحصل به التعادل مع مخدر الطبيعة .

هـــذا العنصر الذى ينبغى إيجاده موجود فعلا ، ولكن أسباباً كثيرة كانت وما تزال تقاوم ادراكنا للقوة العظيمة الكامنة فيه ، واليقظة المطلقة المتعلقة به . هذا العنصر الفعال ليس عاصفة صناعية ، وليس إعصاراً كيميائياً ، ولكنه العقيدة الدينية التى يدين بها هـــذا الشعب !

عندما استولت المسيحية على أوروبا فى خلال قرن من الزمان ظلت هذه القارة على رغم يقظة العناصر فيها راقدة الجفون تحت تأثير الروح السلبية التى جاء بها ذلك الدين . ودار الزمن دورته عشرة قرون طوال حتى إذا ما وثبت إليها من حدود الامبراطورية الاسلامية العظيمة معجزة احياء الموتى التى جاء بهـا دستور المسلمين ، قامت أوروبا ففكت عقال عبوديتها ، واغتسلت من خرافاتها ، ودبت الحياة من جديد فى حرية الرأى ، وطلاقة الفكر ، وتأسست قواعد الحضارة التى ينعم بها العالم الآن .

والمسيحية فى أوروبا فى ذلك الوقت كانت أشبه شىء الآن بالطبيعة فى مصر . ولقد استردت أوروبا حريتها على أساس المبادىء التى وضعتها . فعندما يشعر الانسان بسيطرة عينين مغناطيسيتين خطرتين فأن عليه أن يعتمد نفوذه عليهما من محض قواه المعنوية . ولا شك أن

مبادىء الحق والعلم والقوة والرحمة والاستعلاء على الصغائر ، هذه المبادىء التى جاء بها الاسلام إنما هى أقوى ما يقاوم به المصريون فعل الطبيعة الذريع فى قواهم المعنوية .

من هـذا وحده نستطيع أن ندرك الغاية العظيمة التى وضعتها الظروف أمام هـذا الشعب عندما تتم يقظته ، ويتم تعلمه . الغاية التى ينبغى أن يجعلها كل مصرى ملء آماله وخواطره ، ومادة سره وعلنه ، محطما فى طريقها القيود واحداً بعد آخر . ولا شك أن التاريخ فى المستقبل سيختصنا بالكثير من اهتمامه بعد أن نأينا عنه زمناً طويلا

***

ذكرت فى مقدمة هذا الحديث شيئاً عن العوامل التى أثرت فى نفسى والواقع أنى أردت أن أعطى فكرة صحيحة عن أيام ميلاد هذه القصة . إنى أعلم أن بعض الناس قد يعيبون أسلوبى فى هـذه المسرحية ، وقد يأخذون على بعض جوانبها غموض العبارة وخفاء المعنى . فهؤلاء الذين لا يفهموننى لا حاجة بى إلى الحديث معهم . إنى أعترف أنى حاولت أن أكون مفهوماً بالمعنى الذى يألفونه فلم أستطع . على أنى وأنا أقدم هذه الرواية للذين يقرؤونهـــا لا أدرى أأقدمها على أنها قصة مسرحية للتمثيل أم أقدمها على أنها قصة مسرحية للقراءة . فلقد اختلفت الآراء فى ذلك بين كتاب المسرح الذين قرؤوها إلى حـــد لا يسهل معه الاطمئنان إلى شىء ، وهذا راجع إلى اختلاف المقاييس والأذواق كما ذكرت ، أما رأى الفرقة القومية فقد كان قاطعا فى عدم صلاحيتها

وهذا رأى لا يمنع مطلقاً من ادماجه فى سلسة الآراء الأخرى .

بقى بعد ذلك رغبتى فى أن أحدد الغاية من هذه القصة حتى لا يخطىء أحد إدراك ما قصدت إليه . إن غايتى واضحة وبسيطة وهى أن أثبت أن مثل المبادىء الاسلامية قد انتصرت فى مصر يوماً ما منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وقد كانت فى كفاحها ترمى إلى إنقاذ حضارتها العظيمة .

أحمد صبرى

مقدمة تاريخية

كان امنوفيس الثالث والد « اخناتن » أترف ملوك مصر عيشا وأعرضهم جاها . بلغت الدولة فى حكمه غاية الغايات فى السلطان السياسى ، والرغد الاجتماعى ، والازدهار الفنى . وجاء من بعده ابنه « اخناتن » متأثرا بميول أمه الأسيوية الملكة « تى » فأثار ذلك الانقلاب الدينى الذى يتلخص فى عبادته قرص الشمس متمثلا فيه جميع الآلهة . وقد مضى لكى يساعد على انتشار هذه العقيدة ، يغلق الهياكل ويطرد الكهنة بعد أن يطمس من الجدران أسماء كل الآلهة . وكان « اخناتن » يكره بنوع خاص آمون اله المملكة الطيبي .

كانت من نتيجة هذا الانقلاب وما تبعه من انشغال الملك عن أمور الدولة تكون الثورة ضده بتدبير الكهنة المطرودين والجنود العاطلين . ولقد أثار جزع المفكرين من رجال الدولة ما تواتر من أخبار انتقاض الولاة فى المستعمرات المصرية ، وانهزام جنود الملك فى أقاليم برمتها واستيلاء الحيثيين على شمال سوريا والعبرانيين على جنوبها وفشل كل المفاوضات التى دارت بين الأمراء الموالين للملك وبينه لاستنهاض همته على الاحتفاظ بممتلكات أبيه .

نمت الثورة فى عهد اخناتن ، وكانت فى مجموعها ترمى الى غرضين عظيمين أولهما اذكاء الروح الوطنية وثانيهما اباحة حق الديانة ، ولا

يدرى أحد ان كان قد سفك فى هذه الثورة دم ، ولكن الثابت أن الغرض الأول قد تحقق بأبهرغاياته فى عهد رمسيس الثانى ، وأما الغرض الثانى فقد ادركه المصريون فورا عقب موت الملك وموت خلفه القصير الأجل سمنخكرع أى فى حكم الملك توت عنخ آمون .

كان عصر اخناتن عصر رخاء فنى ، ورخاء فى التعبير ، وقد أنشأ الملك من حوله مدرسة من نبلاء أسرته واصهاره الذين زوجهم من بناته السبع ، وقضى طول حكمه يغذيهم بروحية أفكاره ويبث فيهم خلاصة ما يحب ويعتنق . وكان من تقاليده أن يصحبهم للصلاة بعد احتفالهم باستقباله عند الشروق ، وكان أكثر ما يخرج لذلك مع زوجته نفرتيتى التى أحبها حباً جماً على رغم ماشاع من أنهـا عشقت المثال الذى رسمها وفرت معه بعد موت الملك .

أشخاص الرواية

الشخصيات التاريخية

أخناتن

نفرتيتى

تى .... والدة الملك

توت عنخ آتون
سمنخكرع
آى
حارمحاب

من نبلاء البلاط ومن أصهار الملك وقد تولوا العرش بعده على الترتيب

عنخسنبأتن ابنة الملك وزوج توت عنخ آتن

راموزا .. كبير الوزراء

الشخصيات الروائية

أوزيران . كاهن معبد خناعى ، وهى المدنيـة المشهورة فى أوراق البردى بمدارسها الأدبية والدينية . والكاهن شيخ جليل خالف الملك اخناتون فى عقيدته الدينية ودعا إلى محاربتها باسم الوطنية

أمازيس . ابن أوزيران وقد نشّأه أبوه الكاهن نشأة عسكرية

سينوتم .. الكاهن الأعظم ببلاط اخناتون ، وداعية الدين الجديد

كاموس .. ابن سينوتم ، وهو كاهن صغير بالبلاط مصاب بنوع من الضعف العقلى

أتيتى . . . قاضى القضاة

أوسِرْكاف. قائد الجيش الذى سرحه اخناتن

رُمِس . . . قائد الحرس الفرعونى

نِخْت . . . نبيل شاعر ، مدير مكتبة القصر

منا . . . مدير الحدائق

زِحر . . . قزم والمسئول عن الملابس الملكية

سيتأتن }
كاويت } وصيفات الملكة نفرتيتى
تبو بواى }

أومينى }
دادف } من صفوة الحكام و رجال العلم والأدب
حابو }
اسخرنوس }

الفصل الأول

المنظر الأول

(الغرفة المقدسة بمعبد آمون بمدينة « خنتاعى » التى اشتهرت فى الوجه القبلى فى عهد الأسرة الثامنة عشرة بمدارسها الأدبية وعلومها . نور شاحب يشع من مصابيح خفية متناثرة فى المكان . الوقت فى غشية الفجر و «أوزيران» الكاهن الأكبر للمعبد ، وعميد المدرسة الملحقة به ساهر حتى هذه اللحظات الأخيرة من الليل ينتظر قدوم الملك «اخناتن» ليقدم اليه مفتاح المعبد — وهو آخر المعابد الباقية فى مصر باسم آمون — فيحوله الى عبادة المعبود الاخر « آتن » أو « قرص الشمس » .

الكاهن فى قامته المديده الرائعة التى قوستها الشيخوخة قليلا ، وفى ثوبه الكهنوتى الضافى ، وشعره المستعار ، وغطاء رأسه الذى يميز كبار رجال الدين ما يزال يناجى آمون مولاه ، قبل ذلك الموعد الفاصل ، ويتوقع الهامه)

الكاهن — متجها الى نصب آمون — أى آمون الرحيم ! أيها المعبود الذى خرج عليه عبّاده ، ما أزال ساهراً بقربك ، لا تصرعنى المخاوف ، ولا يمضنى القلق ، فى هذه الليلة التى هى آخر العهد بك ، فى حكم الملك اخناتن .

أمهل . . . أمهل نقمتك ، فعما قريب حين تبزغ الشمس فيتجلى لها على هذه المدينة وجهان ، وجه الصبح ، ووجه الملك . . . الذى يمحو رسمك ، ويسبى معابدك ، ويشتت كهانك ، ستبزغ فى قلبى

تعاليمك المتقدة كشمس أخرى لا انطفاء لها ، ويعكف كهنتك المطرودون وجنودك المنبوذون ، أينما كانوا ، على إحياء تعاليمك بتلك الطقوس الصارمة التى تورثها المحنة .

(يتقدم الى الباب فيطل منه الى الرواق الذى ينتهى الى البهو فالى ساحة المعبد الخارجية)

(فى أسى عميق) ايه . . . ليلة والهة ، شاردة الوجود ، ذهبتْ . . . وكأنها دمعة مختلجة بين جفنيّ . أى سكون طفل تضعه فى يدى تلك الليلة الشابة الهاربة . . . !

(يغلق الباب عائدا الى مكانه فى اعياء وهو مرهف بأذنيه الى كل مكان كأنما يتسمع السكون)

أى آمون ! أيها المعبود الراحل ، ماذا أصاب الكون فى هذه اللحظات التى يلتهمها التاريخ . . . ! الريح لم تعد تعول ، والطيور الناعبة المشئومة جفت فى ثقوبها بين الأطلال ، ومات الأصغاء ... نعم ، لم تعد هناك من أجل الأحداث الدانية صرخات ثاكلة تمزق القلب ، وتراجعت تلك القوى المتوجعة المنذرة إلى نطاق موئس بعيد لا إدراك له ، حتى مزاهر الرثاء جمدت فى كف الآلهة ، وتعلقت أنفاس الشجر ، وهب الصمت من مرقده يمشى على قمم التلال محدقا فى الوجود لينام . ولكنى أنا أوزيران كاهنك الوحيد ، أى آمون رب الأرباب ، ما أزال بأزرك الباقى صامد البناء ، منيع المناكب ، وأنا واقف هكذا فى آخر أحلام الاله المنبوذ ، فى آخر معابده ، أصغى إلى آخر كلماته المقدسة . . .

(واضعا يده على قلبه) صه ! . . . صه ! أيها القلب المروع القلق الذى تعكر السكون . إنى أتسمع وأتذكر وأستوحى ولكننى الساعة أبصر فقط (يجول بعينيه كأنما يرى أشياء) . . . رؤى شاقة ، وأشباح تتدافع على صخور المعبد العتيد بأقدام لينة لا وقع لها ، بعد هذا الأمل الذى شاع فى الفضاء ثم مات ، ومساقط من اللوعة والوحشة تنثال من مسارب الزمن المدبر لتحتضن مدينة خناعى الصغيرة ، وتغرقها فى الوجوم .

كل شىء يرى فى هذه اللحظة حتى النغم الساحر القديم الذى غنت عليه الجماهير لك ، وتداوبت الراقصات ، وهتف العبيد . لكأن الماضى الذى لا يحتمل وقره ، وجلاله ، يبيت الليلة كله فى هذا المعبد .

(تسمع صلوات تدريجية من كهنة وراء الجدران ، ممزوجة بالموسيقى ، ترتفع ثم تخفت)

ماذا يحدث فى دمى من هذه الأغاريد ؟ تفتحى يا أبواب السموات . تفتحى الآن ، وضمى هذه الصلوات الصاعدة إليك بالتمجيد الأخير ، وابتسم يا وجود آمون فى فجرك المرتحل .

أى مولاى ومعبودى الذى يتحول دمه الآن فى قلبى إلى وطنية ونضال . . . ماذا أنت فاعل بى (يزداد انفعاله وتأمله فى نصب آمون) هاأنت ذا ترضى . . . وهاهى المخاوف والأشباح تنتفض وتتراجع وتغيب ، وإنك فى هذه الساعة الصافية الطائرة لتملأنى شباباً وقوة

ومنعة ، وتجرى دمك حاراً فى عروقى حتى لأحس أنى أقوى من ولدى الشاب ، وأنى أعود فأتبنى الحياة . وإن نورك الذى يتجلى على الآن ليضعنى من جديد فى تلك الدائرة السحرية التى نستشعر فيها الحاجة إلى السيطرة والحب

(يشعر فى هذه اللحظة بشبابه القديم يعود ، فيرتجف ، ويمرر يده بأصابع مرتجفة على وجهه وجوانب جثمانه الذى شاع فيه الصبا وقد اتسعت حدقتاه ، وأصابه الذهول)

الشباب . . . الشباب . . . الشباب . . . المعجزة . . . انتصار الروح على الزمن . . . الحد الموهوب بين الانسانيه والألوهية (فى جذل غريب) شكراً لك آمون ، شكراً لك آمون ، الآن استبشر بيدك المباركة التى مرت على جسدى ، ويهجع مشيبى إلى حين ، حتى أبلغ أقصى ماتجمعت عودى من أجله ، وأضفيت على الشباب ، وبعثتنى إليه من نصرة الوطن بجنود الوطن ، وإقرار السلام بعناصر السلام .

(يسمع وقع خطى ثقيلة على الرواق ، فينتفض ويحدق فى الباب لحظات ، ثم يفيق من غيبوبته ويتجه اليه ناظراً باهتمام)

هذا بشير الصبح . . ولدى أمازيس ، جاء يقدم القربان

أمازيس (طارقا الباب بلهفة) أبتاه . . . ياأبتاه . . . (مطلا برأسه من الباب) أنحن بنبأ جديد من الآلهة ؟ أتحدث آمون ؟ ها أنذا قد جئت محملا بعدتى للحرب كما أمرت .

الكاهن — (مستعيدا رباطة جأشه) . أدخل ياأمازيس

أمازيس — كيف ؟ . . أتجيز الآلهة ؟

الكاهن — لم يعد هـذا المكان لأحد . . . أما رأيت الصبح ؟

(يدخل أمازيس وسيفه على أذياله وترسه على ذراعه ورمحه فى يده)

أمازيس — لا أرى الصبح حيث لا أراك ياأبتاه . ماذا قال آمون ؟ بماذا أفتى ؟

الكاهن — بالصبر . . . والكفاح ياولدى

أمازيس — (مفاجأ وهو يرى الشباب الجديد فى وجه أبيه)

وى أبى ! . . ما ذا أرى ؟ . . الكهل أوزيران . . . أم الفتى أوزيران ؟ ترى أأنا فى حلم من هذه الخواطر العنيفة التى دفعت بى اليك ، أم هذه كلمة آمون الأخيرة ؟

الكاهن — وثمة كلمة أخرى يا امازيس . (بعد فترة صمت) أن تلقى الملك الآن فى مقدمه من العاصمة بعدتك الكاملة هذه . (يضع يده على منكبه)

أمازيس — الملك الذى يجفل من مرأى الجنود ! ؟

الكاهن — ويرجف من تصور الحرب

أمازيس — (مخرجا نصف سيفه من غمده) أأنا فى حاجة أن أفهم . . ! ؟ (يشير بما يعنى قتل الملك)

الكاهن — كلا ياأمازيس ، الشعوب الراقية لا تقتل ملوكها ، انا ننتصر بالسياسة التي لا تغدر ، والقوة التي لا تطيش .

أمازيس — (يائسا) لست موعودا إذن بشرف ذلك القربان.

الكاهن — بل بقربان اسمى شرفا . أصغ إلى ياأمازيس ، ياقطعة قلبي . سيكون الملك هنا بعد لحظة ، سيتسلم هذا المعبد ، ويمحو اسم آمون ، ويحطم وثنه ليضع وثنا آخر (يهز رأسه ويتنهد) وسألحق أنا بحاشية الملك

أمازيس — (دهشا) ماذا . . : بحاشيته ؟ كيف يا أبي ؟

أوزيران — لاتدهش ياولدي . أنسيت حديثي معك عن راموزا الشيخ وزير الملك .

أمازيس — كان أستاذا هنا في مدرسة المعبد ، ثم انتقل للكهانة في طيبة ، فالى القصر بها ، ثم استوزره اخناتون ، وهو من أبناء هذه المدينة . هذا بعض علمي به .

الكاهن — إن انضمامي إلى الحاشية باتفاقه ياأمازيس وسيكون بمساعدته . سأعود إلى صناعتي الأولى ، صناعة التماثيل كما كنت في شبابي الأول ببلاط الملك أمنوفيس . أنظر لكأن الزمن يعود بي مرة أخرى إلى تلك العهود ليمتحن ذاكرتي عن مجد الأمبراطورية (يشرد قليلا) على أن هذا سيكون من شأني ، ومن شأن

القائمين على طاعتى فى جميع الأنحاء ، أما نصيبك أنت أيها الشاب المتحمس ...

أمازيس — أبى ... انى لتواق .

الكاهن — إذن فاعلم أن العبودية فى شعب لاتخشى من شيء قدر خشيتها من المتعلمين . فسترافقنى عن بعد الى اخيتاتون ثم تمضى بسيفك هذا وتعاليمى فيك فتوقظ بأطرافهما هِمم الراقدين ، وتعبىء من بقايا العزة والمعرفة جيشاً ثائراً على خنوع الملك ، وعند ذلك يابنى نلتقى جميعا على أبواب القصر . . . أمازيس ! . . إننى ارتقى اليوم فأصبح كاهن الوطن كله بعد أن كنت فى مدينة واحدة كاهن آمون . أفهمت ؟

أمازيس — إنى أفهم يا أبت ، وآفاق هذا الوجود تتسع من حولى فأرى منتجعا كبيرا لهذه الحيوية التى تتلاطم بين جوانحى ، ولكنى أريد أن أستوثق أولا ياأبتاه أنك لاتلقى مكروها من ذلك الطاغية سينوتم الذى يحرس الملك ، سينوتم كاهن آتون الأكبر وكاتم سر الدولة وصاحب النفوذ المطلق فى البلاط .

الكاهن — ذلك الأرقم العجوز ! انظر ياأمازيس (يشير الى قوامه) . انى فى هذا الشباب الممنوح باتفاق الآلهة لم أعد آبه لكل القوى الشريرة مجتمعة فى شخص واحد . أو متفرقة فى عدة جماعات ،

ولا يغب عنك يابنى أن لنا الكفة الراجحة بأنصارنا ، وبما يأتيه الإيمان المتثبت من فنون المعجزات .

أمازيس — فما تفعل ياأبت بالنبلاء من تلامذة الملك الدينين سمنخكرع وآى وتوت عنخ آتون ، وما تفعل برمس قائد الحرس المتيقظ ، وما تفعل بأوسركاف ذلك البطل المتعطل وقائد البقية الباقية من ذلك الجيش العظيم المسرح ، وبأتيى العجوز قاضى القضاة ، بل ماتفعله بالملكة الحسناء نفرتيتى ذات النفوذ الروحى الذى لايغلب ، بل ماتفعله بالملكة الكبيرة تى ، راعية فرعون الدينية ، ومدبرة السياسة لخدمة بلاد الشمال موطنها الأول .

الكاهن — سأفعل كل ماشاءت الأقدار أن أخطه بقدمى هاتين على هذه الأرض . إنى أطلب إليك فقط أن تستعيد الماضى الذى أجريته فى دمك فتفهم الذى أرادته الآلهة وتؤمن .

أمازيس — إنى استعدته طول الليل يا أبت ، وقد فهمت وآمنت (يتوعد) سأعلمهم أننا ولدنا جنودا ، وأننا مازلنا رغم العوادى أبناء هذا النيل ، نحارب وننتصر ، ونطوى العالم فى نفوذنا من جديد .

الكاهن — نحن على أبواب سفرة قد لانلتقى بعدها ، فعانق أباك ، واحتضن حكمته البالغة . (يتعانقان)

هات يدك يابنى . . . هذا عهد لن تذروه الرياح ولا الأعاصير

فى هذا السكون السرمدى بوادى النيل ، وعند مانلتقى سيكون ذلك أمام أقصى هـــذه الغاية التى كرست لها شبابك وهبتها شيخوختى .

أمازيس — لست شيخا يا أبت ، أنت قوة الوطنية المهيضة ، ومعجزة الدين المخذول .

الكاهن — الآن أنفاسك آمون ، وأيقظ هـــذه الشمس المطرقة تحت حائط الأفق فنحن على استعداد للقاء الملك ، وبدء الكفاح فى هذه الحياة الجديدة .

(تدق طبول الملك وموسيقاه مؤذنة بقدومه)

أمازيس — الملك !! ماأسرع مايجاب لك الدعاء .

الكاهن — (مشيرا الى أحد الأبواب) استبق نفســـك هنا فى تجاويف المعبد حتى تراك مدفوعا للظهور أمام فرعون فتظهر .

أمازيس — وبماذا أتكلم يا أبتاه ؟ .

الكاهن — بالكلمة التى ستراها مهيأة على فمك .

أمازيس — حسنا . . . انى ذاهب ، وليمش النصر على أعقابنا منذ اليوم كما يمشى كلب الصيد .

« يمضى امازيس حيث أشار والده ويتهيأ الكاهن للقاء الملك . يدخل اخناتون . . . نحيل ، نبيل المظهر ، له عيون نجلاء . ينفح منه وغموض ساذج محير ، ويشع من نظراته

المتفلسفة بعض القلق ، إذا تحدث ففى لهجة الابرار القديسين ، لا يعلق الغضب بنبراته الموسيقية الموجعة مهما كان المثير . تتبعه الملكة نفرتيتى صغيرة رشيقة حسناء كعود البنفسج ترتدى ثوبا مزركشا وعلى رأسها تاجها ومن خلفها وصيفاتها ميتاتن وتيبوباى وكاويت ، ثم كاهن آتون الاعظم وكاتم سر الدولة « سينوتم » عجوز ماكر ، مقوس القامة حاد النظر مصاب بمرض الربو مما يجعل كلامه المجهد أقرب الى الفحيح . ومعه الوزير راموزا شيخ رصين حنكته التجارب شديد الولاء للعرش لا للجالس عليه يسيل حماسه الوطنى فى أسلوب هادىء . ثم قاضى القضاة اتيتى شيخ طويل اللحية محدود النشاط فيبدو كمن يظاهر كل المذاهب والاراء . وقائد الحرس رمس جندى باسل دائم العبوس لا يعرف غير خدمة مولاه ، ثم النبلاء سمنخكرع وآى وتوت عنخ اتون وحارمحاب وهم فتيان اماليد من أسر الاشراف العريقة جمعهم الملك حوله ولقنهم تعاليمه وطمعوا هم بعد مصاهرته فى بلوغ العرش من هذا السبيل وكلهم صورة للشباب المترف الطامع المتقلب الا الاخير حارمحاب وهو ضابط فى الحرس فانه أصلب من الباقين عودا وأحفل بعناصر التوثب والطموح . ويجىء بعد هؤلاء من كبار الرجال فى البلاط تحت شاعر وأمين المكتبة الملكية ومنسق أشعار الملك وكتاباته ، و « منا » كاهن سابق نحيل طويل القامة ورتبته فى القصر مدير الحدائق الملكية ، ثم يجىء كاموس الابله كاهن صغير القيمة لولا أنه ابن الكاهن الاعظم سينوتم غامض العينين غارق الرأس فى قلنسوة كأنها ليست له ألحقه أبوه طمعا فى الملك بحاشية اخناتون الذى لا عقب له من الذكور ، ولبلاهة كاموس هذا وجه غريب محزن فهو وان كان كالقرد محاكاة الا أنه كالقرد الذى انتزع منه كل شعور بالمرح فهو ينقب فى هيمان لا حرارة فيه عن شخصيات نافذة الامر ليقع تحت تأثيرها ثم يعود فيبحث عن شخصيات ضعيفة يمثل أمامها بنشوه بليدة تلك الادوار التى استغرقت اعجابه الحيوانى . فى هذا الصباح كان كاموس واقعا تحت مغناطيسية والده فكان يسير خلفه كالظل التعس مقوس الظهر مثله يخرج أنفاسه بصعوبة وحشرجة وهو برىء من المرض . يدخل فى النهاية « زحر » مدير قسم الملابس الملكية ، قزم طيع تلوح فى عينيه حيرات العبودية وانسيابات الملق المحزون ، تعتدل الحاشية حول الملك »

سينوتم — باسم آتون يفتتح الملك اخناتون هذا المعبد بمدينة خناعى آخر المعابد التى طرد منهـــا آمون إله الفظائع العسكرية

والجشع والنفاق والمظالم . وباسم الملك يطلب سينوتم كاهن آتون الأعظم وكاتم سر الدولة من كاهن هذا المعبد أن يلقى إليه بمفتاح الحجرة المقدسة .

الكاهن — « يخرج من صدره مفتاحا يبقيه قليلا فى يده »

فى هذا الصباح السعيد يدخل الملك اخناتون بحاشيته دخول الفاتحين مدينة خناعى الخالدة ، مدينة الديانة والآداب والعلوم فيسلمه كاهنها وعميدها اوزيران الشيخ الكهل آخر حصن من حصون الإله الراحل آمون ، ويقدم له بكل ولاء وخضوع مفتاح غرفة الناووس المقدسة فيتم بذلك تسويد عبادة الشمس ، وتبدأ مصر فى حياة الملك المرموق من رعيته صفحة جديدة حافلة فى كفاحها من أجل سعادة ابناء النيل ، وارضاء السموات بالقرابين من حضارتها الزاهرة .

« يقدم المفتاح فيتسلمه منه سينوتم فى نظرة شزراء »

الملك — أيها الكاهن اوزيران ، قد قبلنا ولاءك ، وسمعنا فيك نصح وزيرنا راموزا فألحقناك ببلاطنا مطلق الاشراف على كافة شئوننا الفنية ، وليكن ذلك وصلا لما انقطع من أيام شبابك الذائعة الصيت فى طيبة ببلاط سامى الذكرى أبى الملك امنوفيس الثالث :

اوزيران — (منحنيا بوقار) شكرا يا مولاى .

راموزا — (متحققا من وجه اوزيران) ويحك يا اوزيران ! ما هذا الشباب فى الثمانين (للملك) مولاى ، ان هذا السيد يأبى أن يلتحق بخدمتك إلا شابا كما التحق بخدمة أبيك سامى الذكرى !

الملك — (متحققا بدوره فى هدوء) ما أشد عجبى ! لحية كهــلة بيضاء ووجه غض متنور !

أوزيران — (منحنيا ثانية) معجزة الدين الجديد يا مولاى تظهر فى هذا الكهل ، على هذه الصورة .

راموزا — (مقدما اوزيران للملكة) مولاتى . المثال الذى كان شابا فى عهد امنوفيس الثالث يعود إلى شبابه بعد هذه الخمسين عاما فى حضرة الملك والجمال .

الملكة — (باسمة) هكذا يا أوزيران ... إن الآلهة تغضب غضبها الفنى على الرجل الذى يترك أجمل أعماله فى قلبه .

الملك — سيكفر عن هذا بتمثال رائع للملكة . أليس كذلك يا سينوتم ؟

سينوتم (هامسا) مولاى ! إنى لأخشى الرجل . أما رأيت كيف تخير كلمات خطابه ، وكيف كان يضغط على الألفاظ ليبعث المعنيين المتناقضين .

الملك — (باسماً وبصوت مسموع) — لماذ أحجر على الناس .. وهذا عصر رخاء فى الأحاديث (ناظراً إلى اوزيران فى إعجاب) ولقد زكاه راموزا .. أنظر أنى لاعجب فى وجهه بهذه الطمأنينة السابية .

(فى نفس الوقت يتبادل أوزيران والملكة النظر المتأنى المستطلع الذى يسبق المعرفة العميقة ، و يشترك معهما راموزا)

سينوتم — الأمر لك يامولاى .. على إنى سأحذر .

أوزيران - (للملكة) سأجعله تمثال ملايين السنين يامولاتى . إنى سأشترى به رضى الآلهة عنى فتعيدنى ثانية إلى فضل الشيخوخة التامـــــة .

الملكة — (فى ضحكة رقيقة) — يالأفضال الشيخوخة من أفضال (منتبهة الى شىء) ولكن ما بقاء هذه اللحية البيضاء ياأوزيران فى ذلك الوجه الشاب . . . ؟

أوزيران (فى حرص) — ذلك يامولاتى أنى حين طلقت الشيخوخة لم أشأ أن أطلق الحكمة (يمسك ذقنه بيده) فتركتها فى ذقنى

(يضحكون)

الملكة — (الملك فى اعجاب صريح) — عظيم . . . عظيم ياإخناتون ، سنضمه إلى الخالدين فى عهدنا الذهبى (تتفرسه) لكأنى به من نسل عالم آخر ! !

أوزيران — (باسما لهما عن بعد) إن أسرى مدينة خناعى يستحقون الاهتمام يامولاتى .

سينوتم — (متقدما بينهما فى صلف وغلظة) إنى أذكر أنى رأيت السيد !

أوزيران — (فى اقتضاب) لعله كان فى عصر الملك السابق ياسيدى .

الملك — قدم هذا الضيف الجديد إلى رجال حاشيتنا يارموزا

راموزا — (الى اوزيران الذى يتبعه ويصافحهم) النبلاء الأصهار الملكيون سمنخكرع ، آى ، توت عنخ آتن ، قاضى القضاة أتيتى ، رمس قائد حرس فرعون ، الشاعر نحت أمين المكتبة الملكية ، السيد منامدير الحدائق الملكية ، النبيل حارمحاب تابع فرعون ، الكاهن كاموس . . . كاموس . . كاهن ونجل الكاهن الأعظم سينوتم . . .

كاموس

(وهو يصافح أوزيران و يتطلع اليه مترسما مافعله أبوه)

إنى أذكر أنى رأيت السيد . . .

(يضحك الجميع ويستمر كاموس)

لعله كان فى عصر الملك السابق ياسيدى ..

راموزا — (متمما) السيد زحر أمين الثياب الملكية .

الملك — (يهم بالعودة) لا يصلح المعبـــد اليوم للصلاة ، سنصلى فى ضحى آتون ، على هـذه التلال الذهبية القريبة وسأترك لك يارامورا تحويل هذا المعبد إلى الوجه المشرق الجديد .

(يتقدم ليخرج ويتبعه النبلاء فيعترضه أمازيس فى حلته الحربية)

رمس — (واثبا وهو يعترضه) من أنت ! ؟

الملك — (هادئا) من هذا الذى يهبط علينا من العصور المظلمة .

أمازيس — أنا القوة العسكرية المتيقظه ، أنا أمازيس المنتصر .

أوزيران — (متخطياً إلى ولده بين الملك ورمس) مولاى ! هـــذا ولدى المجنون . . . ذهب عقله فى الشأن الذى تراه . . . إنك ستبقى عليه .

الملك — خل عنه يارمس .

أمازيس — (يتقدم إلى الملك فيحيي التحية العسكرية ويحدق فى وجهه) . مولاى الملك . أنقذ الحصون المخربة ، وارفع علم الدولة الذى نكسته الهزائم ، وأمدد يدك إلى جنودك المشتتين فى الشمال .

الملك — (مقلبا نظره بين أوزيران وولده) هذا يوم المفاجآت . . .

شباب شيخ يعجز عن إتيان مثله السحر ، وجنون فى وسيم مروع لا أرى إلا أن الشياطين هى التى تنطق فى فمه محاولة أن تخيفنى ، أو أن تردنى عما أنا فيه .

سينوتم — وذلك الرسول القادم من سوريا الذى كبا به جواده عند اقدام الملك ونحن على أبواب هذه المدينة !

راموزا — (فى لهجة خاصة) الرسول الذى حمل نعى امير جبيل صديق الامبراطورية ، مقتولا بيد أحد أتباعه .

الملك — لاأدرى لماذا لاتمنح الدنيا انتصارا كاملا ، إن مقتل هذا الأمير التابع يضع أمامى فى ذيل هـذا الصبح العذرى نقطة فاجعة من الدم ، إنى ذاهب إلى الصلاة على تلال المدينة (يتقدم دون التفات كأنما مسه شىء) إنى ذاهب إلى الصلاة

(يخرج فتتبعه الملكة ووصيفاتها وسينوثم وأنتى ورمس وآى وسمنخكرع وتوت عنخ وكاموس وزحر ويتجمع الباقون)

راموزا — (بعد فترة صمت وحذر) إعلم يا أوزيران ان هذا ليس كل ماجاء . الرسول الذى كبا به جواده .

نخت — سحقا لهـذا الملعون سينوتم ، لقد حال بينه و بين الملك ، ثم لما أفاق الرجل لم ينقل عنه أ كثر من هذا النبأ الموجز المكذوب .

أوزيران — (باسما فى هدوء) انى أوشك أن أتنسم الخبر

الصادق ، فأمير جبيل قد قتل بيـد الأعداء نتيجة ولائه الشديد لفرعون .

راموزا — قتل فى بيروت على مسمع منا وهو يفر طالبا للنجاة من وجه الحيثيين بعد أن يئس تماما من استنهاض همة الملك . أحدقوا بجيشه الصغير وحصروه ومزقوه ، أرأيت يا اوزيران كيف يعبث بالملك كاهن طامع تحركه امرأة أجنبية ؟

أوزيران — (بهدوء ثانية) نعم . . . أم الملك .

راموزا — لقد كانت مع الرسول وثائق حربيـة ولـكنها ذهبت . . . ذهبت هذه الوثائق الحربية التى وضعها الأمير المقتول كما ذهبت آخر رسالاته إلى فرعون .

أوزيران — كنز ياراموزا ! ولـكن . . أترى أن هذا الأمر كان ليتغير حتى ولو علم به الملك ؟

راموزا — (محتدا) ليس هـذا ما قصدت إليـه (فى تؤدة وانعطاف) أوزيران ! إنى حزمت رأيى على رأيك السابق ، وهأنذا قد أنجزت لك أول التدبير ، وانى لسائر فى هذه السياسة خلفك بالعزم الذى لا يهن ، والقوة التى لا تلين ، فما تقول فى ذلك ؟ هاك يدى فى مقدمة هؤلاء الأنصار الملكيين أمدها إليك ولا رجعة لى فى ذلك . إنك لا تدرك خطورة ماتشهده أعيننا فى القصر من استلاب

قوة العرش والتآمر لاغتصابه .

أوزيران — (يصافحه بقوة) حسنا ياراموزا ! كنت أعلم أن لهذا العهد يومه الموعود ، وإنى لسعيد بهؤلاء الأنصار الملكيين الذين أصبحنا بهم فى اتحاد موفق ، تتمثل فيه كل الطبقات (متجها إليهم) السادة نخت ومنـا وحارمحاب نواة سعينا لانقاذ الوطن ، وحماية العرش .

نخت — (وهو يصافحه) إننا معكم بكل قلوبنا

منـا — (وهو يصافحه) وبكل شبابنا

حارمحاب — (وهو يصافحه) إنى أهب سيفى على ما أقسمت للملك لخدمة الوطن

أوزيران — أى إخوانى . . إن حكومة شاعرة يمثلها الملك معناها تحلل ذريع

حارمحاب — ستقودنا أنت إلى تغيير روح القصر

نخـــت — لم يعد خفيا على أحد أن هذا المغامر الأحدب سينوتم جاد فى حبك مؤامراته ليضع ابنه الأبله على العرش .

منـا — فيبدل اخناتون بما هو أمر منه . ويصبح الملك وراثة فى الحالمين . . والمجانين .

راموزا — قد بسطت لكم من قبل الخطة التى انتهينا إليها ، وجئنا من أجلها .

أوزيران — وإنها لخطة مشروعة محكمة . إسمعوا لى (يضع يده على كتف ولده) أمازيس ولدى ... بهذا التاج الذى وضعناه على رأسه من جنون محقق ، سيهبط معنا العاصمة اخيتاتون ، فيلهبها فى مدى قصير ثورة على تقاعد الملك عن الحرب ، وصبره على التمثيل بعلم الدولة ، وانتهاك حدودها المقدسة حتى إذا مابلغ من هذا الأمر أقصى ما نريده سار إلى القصر فى جيش كثيف من الجنود المسرحين ، والكهنة الناقمين ، فحصره من جوانبه وأعلن رجاء الوطن . نعم أيها السادة فلا يفل الشعر إلا الجنون . وسيكون فى عون هذا المجنون السياسى رؤساء الكهنة التابعون لنا ، وقواد الجيش المتعطلون ، والشبان الملتهبون المتطرفون . على أن نختار لهذا اليوم العظيم مناسبة طبيعية لاشائبة فيها ، حيث تكون كل وفود المدن والقرى قد سالت إلى اخيتاتون وتضخمت فى أحشائها الصغيرة العذراء . أما نحن فسنقف من هذا الجيش الزاحف موقف الناصحين المعتدلين بين الملك وبين شعبه . وإنى لشديد الايمان بانتصارنا الحاسم دون إراقة قطرة واحدة من الدماء .

راموزا — إنى لا أجد مناسبة أروع لهذا الحدث الذى سنحمل به الملك على فكرة الحرب ، وإرسال الامدادات ، من يوم الاحتفال الكبير بانتصار آتون ، فان العاصمة الخاوية تستطيع يومذاك أن تجد عذرها فى التضخم .

أوزيران — الآلهة تمد أيديها المضيئة إلينا من بين فجوات السحب . ياأصدقائى ! سيكون هذا الاحتفال لنا . وإنا لن ندع سانحة تسنح حتى نستخلص منها ما نسوقه لخير هذا الاتفاق المقدس .

حارمحاب — حبذا لو استطاع أمازيس أن يهبط القصر خلسة ليدرب الفتيان النبلاء على قتال السيف ، وينشر فيهم هذه التعاليم إن من حقه أن أمهد له ذلك .

أمازيس — (يصافحه بقوة) لله درك أيها الشباب النبيل ! هذه أمنية لشد ما تصبو اليها نفسى . أبى ! ! أما نظرت إلى فتيان الملك . . . هؤلاء العذارى ! تالله لانبتن اللحى فى خدودهم المرد . . أو لأ موتن دون ذلك .

راموزا — نحن فى حاجة إلى كل رجولة جديدة ترجح بها كفتنا على قوى الأعداء الرهيبة الكامنة . لا ينبغى أن نغفل من حسابنا أوسركاف قائد الجيش الذى سرحه الملك فهو وإن كان يحيا فى القصر ضحية من ضحايا سينوتم غارقا فى خمره ونسائه فانه مايزال قوة يخشى خطرها عند الملمات ، وإن سينوتم ليعرف كيف يوجه به الطعنة عند الحاجة إلى صدورنا وصدر الملك .

أوزيران — ياأصدقائى ! إنى سأكفيكم هؤلاء بشىء واحد

الجميع — وما هو ! ؟

أوزيران — (فى صوت صارم) تمثال الملكة !! ... أيها الإخوان ! اليوم لا آلهة ولا معابد . فلنجدد قسمناهنا باسم ذلك المعبود الذى لا يُهجر ، ولا تبطل قداسته . . باسم العلم . وباسم هذه الحياة التى تسيل منها الحياة ، فلا تضعف ولا تنقطع . . . باسم الذكريات . إن راموزا ليذكر جيدا هذا المعبد الذى لبس فيه بردة المدرس . وإن نخت ومنا وحار محاب وأمازيس ليذكرون جيداً وهم تلامذتى وتلامذة راموزا تلك الغرف المجاورة التى لقنوا فيهـا أغلى مبادىء الوطنية والبسالة والثقة فى النفس والإيمان بالله وإنى لأجمع فيما أجمع معكم كل هذه الذكريات الزاخرة باشتياق القوة وحنين الاستشهاد . أفما ترون هذا المكان المقدس بعد هذا جديرا بالقسم العظيم . . للعمل العظيم ؟

الجميـع — (مؤتلفين) إنا لنراه كذلك .

اوزيران — شكراً لراعى هذا الوطن ، إننى بكم وأنتم بى فى قوة متزايدة ، أطبقوا أيديكم إذن على هذه اليد التى يجرى فيها منذ الساعة دم آمون ، وتبتدع روحه . (يطبقون بأيديهم على يده)

بحرمة العلم وحرمة الذكريات نقسم على صون العرش ، ومناجزة أعدائه ، ورفع سارية العلم عالية على أملاك الوطن .

الجميـع — (فى صوت متحد) نقسم .

المنظر الثانى

(مرتفعات معشوشبة محيطة بمدينة خناعى . النبلاء سمنخكرع وآى وتوت عنخ آتون وحارمحاب والوصيفات تبوبواى وسيتأتن وكاويت وقوف وجلوس ومنطرحون أرضا عقب رحلة ممتعة فى أرباض المدينة . . . هنا وهناك بقايا أطعمة وسلال . تبوبواى تضحك من مرورها ضحكة مرحة عالية وهى تدور حول نفسها فى الهواء)

سمنخكرع — خففى ضحكاتك ياتبوبواى حتى لا يرتعـــد السـكون

سيتأتن — دعوا ألوية السلام معقودة على هذه التلال التى يجوس خلالها الملك

تبوبواى — (فارغة من ضحكها) حقاً . . . هذا يوم المفاجآت والمستحدثات ! شباب الكاهن العجوز ، وبلاهة كاموس العزيز ، وجنون ذلك الفتى أمازيس !! (تضحك ثانية)

سمنخكرع — أما كاموس فبلاهته أقدم من الأهرام ياتبوبواى

توت عنخ — (وهو يحاول ان يدخل فى احدى يديه قفازاً ضيقا وتحت ابطه سوط) ما ألعن هذه القفازات الضيقة ! أما من سبيل إلى اليسر ؟

حارمحاب — عليك بقلنسوة كاموس . . فلتغرق فيها كلتا يديك

سيتأتن — (وهى تربت على كتف توت عنخ) إن توت عنخ آتن لا يميل إلى التعقيد والاجهاد فليلق بهذه القفازات إلى الأرض .

توت عنخ — حقا يا سيتأتن ! وإنى لأحس هذا التعقيد الآن فى كل شىء . فمنذ التحق بنا كاهن هذه المدينة وقد أصبح للكلمة معنيان ، وللصورة ظلان ، ولنظرة العين جانب هنا وجانب هناك

آى — (وهو يأكل) أقسم لكم ياأولاد أن الحياة بدأت تدب فى هذا البلاط الميت

حار محاب — وذلك المجنون أمازيس ماترون فيه أيها الشجعان ؟

كاويت — (شبه حالمة) مجنون . . هز مشاعرنا بعتاده الكامل للحرب ، ومنطقه الصريح السليم ، حتى لكأننا لم نتذوق هذا المنظر الفريد منذ أجيال

آى — انتظروا . . سنصاب جميعاً بهذا المرض الذى يهز المشاعر عندما نعود إلى العاصمة ومعنا كاهن آمون !

تبوبواى — أما تغيرون من هذه الأحاديث ؟ تالله إنى أوشك أن أجنّ الساعة مقدماً من فرط الرعب (تضحك)

توت عنخ — حقا . . . أتدرون أيها الاخوان ، عندما دخل المعبد هذا المجنون أمازيس . . . ياربّاه . . . إن امعائى تمددت إلى الضعف !

كاويت — (متلجلجة) لكم أشفقت على الفتى الوسيم أن يبطش به رمس !

آى — (فارغا من طعامه) — وهل يجرؤ رمس أيتها الطفلة أن يغرق فى الدماء أقدام الملك فى هذا اليوم الخالد !

تبوبواى — (هامسة) — لقدحرمونا المفاجأةالرابعة ، حين نرى اخناتون . . . أوه ، قسما بظلال الظهيرة ، وشمس الصحراء ، لوأن فرعون الوديع انقلب شيطانا لما كان الا هذا الفتى الجلف أمازيس . . . ياهما من فتيين ! !

كاويت — (شاحبة) — على رسلك ياتبوبواى ...

تبوبواى — (باسمة وهى تربت على خدها) — ما أحبك إلى قلبي ياكاويت !

كاويت — (متأثرة وذراعاها ممدودان امامها واصابعها متشابكة) . . . انى أقسم بالزنبق الأبيض ، وأقسم بالنور (تزداد تأثراً) لو أن فرعون كان فرعوناً . . . لما كان إلا . . . (تخونها شجاعتها فتضع وجهها بين كفيها) — أواه !

سيتاتن — (ملتفتة خلفها فى متسمعة) — صه ! ! . . . كأنما اللصوص يسرقون الجياد !

سمنخكرع — ماذا !؟ وقع أقدام خلف الجبل ! !

توت عنخ — ياللسموات ! إنه سينوتم الداهية جاء يعس علينا ليلقى دروسه المتوجعة عن السلام كأنه الناى المختنق .

تبوبواى — لعله أحد الجنود الحفاة المسرحين يريد أن يجي بالنبال حاشية الملك !

توت عنخ — ياللهول ! طأطئوا رؤسكم . إن سهام مدينة خناعي سامة !

تبوبواى — ألا يكون المسكين أمازيس فى بعض تجواله ؟

آى — المجنون . . ! تعلقوا اذن بأشعة الشمس .

سيتاتن — (تتقدم لتطل على الطريق) دعونى أرى

سمنخكرع — سيتأتن ! . . بالله لا تغامرى

تبوبواى — أنا التى سأذهب

(تسير محاذرة حتى إذا أشرفت على الطريق كتمت بيديها ضحكة عالية ثم التفتت تنادى الآخرين بحذر . يبطل وقع الأقدام ويسمع من بعيد صوت كاموس وزحر)

كاموس — (من بعيد) الآن قف بنا ياعزيزى زحر وتكلم

زحر — يارباه . . ترى ماذا أقول يا كاموس وقد أجهدنى كل هذا السير الذى قهرتنى عليه .

كاموس — ياعزيزى . . قل هكذا كما قالت الملكة نفرتيتى للكاهن (ولكن مابقاء هذه اللحية البيضاء ياأويزران فى وجهك الشاب)

زحر — (ممتثلا ومحاولا ان يحاكى الملكة) ولكن مابقاء هذه اللحية البيضاء يا أوزيران فى وجهك الشاب

كاموس — (محاكيا صوت أوزيران) قد طلقت الشيخوخة يامولاتى ولكنى لم أشأ أن أطلق الحكمة

زحر — حسنا . . ألم تكتف بعد ؟

كاموس — اتمم يازحر .. أتمم .. قل هكذا (عظيم يا اخناتون سنضمه إلى الخالدين في عصرنا الذهبي . . .)

زحر — عظيم يا اخناتون ، سنضمه إلى الخالدين في عصرنا الذهبي . . لكأني به من نسل عالم آخر .

كاموس — (مستمرا) إن أسرى مدينة خناعى يستحقون الاهتمام يا مولاتى (وكأنه يلتفت) إنى أذ كر . . . أوه ، إنى أذكر

آى — (خارجا عن صبره) كفى . . لا تذ كر شيئاً بعد الآن أيها القرد ! أما تكف عن ترويع المتنزهين (ترتفع الضحكات) .

تبوبواى — زحر ! . . أيها الأسير المسكين !

زحر — (مستنجدا من أسفل) سيدتى . . . مولاتى . . . هذا البلاء . . !

تبوبواى — أنقذوه أيها الرجال . (يهبط اليه آى وحارمحاب) .

توت عنخ — (وهو يتبسم) إن لى من الغنيمة قلنسوة الأبله

(يدخل نخت ومنا)

نخت — تبوبواى . . أيتها الوردة الضاحكة على تلال خناعى ، ما هذه الضجة ؟ وأين الرجال ؟

تبوبواى — (مغرقة فى الضحك) هبطوا خلف كاموس . . لقد جاء البغل بحماقة جديدة !

منـــا — أيتها العزيزة تبوبواى ، تديرين إلى الأبد بهذه الضحكات الهوائية ساقية من العشاق ، ففتيان صاعدون . . .

نخت وسيتأتن — (معاً) وفتيان هابطون . .

تبوبواى — (رافعة يديها مبتهجة) أتسمعون صراخه ؟ تعالوا نهبط إليهم فلا يليق بنا أن نتركهم يقتلون ولى العهد !

نخت — (مندفعا إليها لتقف) قفى هكذا ياتبوبواى ! لأنت عندى الساعة أحق من المملكة بهذا التمثال الذى سيصنعه لها اوزيران الملهم !

تبوبواى — (تشده من ذراعه) أيهـا المزّاح ما لى بك قدرة أنت وهذا المعروق مِنا . (تهبط وخلفها نخت ومنا)

سيتأتن — (تأخذ يد كاويت فى يدها) كاويت ! . . ما الذى بك اليوم . . . شاحبة ذاهلة مرتجفة !

كاويت — (تنظر إليهـا ملتاعة ثم تبتسم فى انكار واضطرام) لا شىء ياعزيزتى سيتأتن ، لاشىء . . إنه عارض من الاستغراق ألفته منذ كنت فى الريف ، يعاودنى كلما عدت إليه .

(تهبطان . . يدخل الملك تتبعه الملكة كأنها كانت تبحث عنه)

الملك — (مناجيا المكان) لكأن الجو هنا مشبـع بانغام إلهية تجيش على هواها متآلفة مع نجوى العابد المسكين .

الملكة — (مغرده) إخناتون . . إخناتون

الملك — (غير منتبه اليها) على هذا الارتفاع . . والشمس ساطعة . . والشباب يرتع فى كل مكان كالروافد الصافية ، يحس اخناتون هنا أنه ملك أكثر مما كان فى عاصمته .

الملكة — (وهى تمس منكبه) إخناتون . . . حبيبى إخناتون !

الملك — (مأخوذا بها) نفرتيتى !! . . . . . كيف بك هنا . . الساعة ؟ أما استودعتك سفينتى الراسية على النيـل ؟ أى جواد كريم وثبت به كل هذه الوثبة ؟

الملكة — (مستضحكة) عبيرك أيها الملك . .

الملك — ولكن . . تجشمين أقدامك الناعمة وعورة الطريق . . وكيانك الغض !

الملكة — (مشوقة) أى اخناتون ! إن لنشوات الانتصار جناحين ، وللحب أربعة ، فانظر كيف أطير إليك بكل هؤلاء ، على أرض تذعن للأيماءة ، فتطوى نفسها للغايات (تنظر حولها) ياللسلام من حولك أيها الملك ، وفى كل مكان !

الملك — (متشككا) أو قد أثمرت تعاليمى إلى هذا الحد يا نفرتيتى ؟

الملكة — (وأصبعها على فمها) لولا الكهنة ، أواه . . . إنى لا أكاد

أصدق كل هذا الذى حولى من هدوء واستقرار !

الملك — نفرتيتى ! فلنخشع معا لهـذه النجوى التى تحف المـكان . لا تحدثينى عن هؤلاء . حدثينى عن الشعر . . . حدثينى عن الجمال . . . حدثينى عن الحب

الملـكة — (تطوقه بذراعيها) حقا ماأحوجنا نحن الصغيرين إلى هذا الخشوع . إنى أريد أن أغرق ارتيابى فى هذا الانتصار بالدفء فى أحضانك . أنت القوة الغامضة ضد الشر الغامض . إنى أسألك ياملـكى لمـاذا تنهك نفسك بالصعود إلى هـذه المرتفعات مع أن الطبيب حذرك الحركة وأشار عليك بالاستجمام ؟

الملك — وهـل تطيب الراحة فى غير هـذا المـكان ؟ إن دائى فى نفسى ، أما هـذا الجسد المتـداعى . . . ليتنى كنت كلى روحا (باسما لها) كيف كان يمـكن أن تبصرى ذلك يانفرتيتى ! ؟

الملـكة — (ضاحكة) كنت أبصرك متلألئاً فى أشعة الشمس يا إخناتن فأظل وحيدة راكعة على هـذه المرتفعات أعقد تاجك على رأسى حتى يصيبنى الاغماء ، ثم تختطف الظلمة منى هـذا التاج وتردنى مع الليل وحيدة باكية كما كنت (مواسية) لا تأس ياإخناتون . إنك جميعك روح . . أنظر إلى هـذه البقعة الجميلة هنا وهناك أما تذكرك بأيامنا الأولى ! ؟

الملك — إنى أذكر يا نفرتيتى . أنظرى إلى السماء هل تغير فيها شيء ؟ أما نحن فكل شيء فينا قد تغير !

الملكة — (متراجعة) حتى عواطفنا ! ؟

الملك — إن عواطفنا نمت نموا شديدا يانفرتيتى .

الملكة (تومىء الى معنى) حتى أصبح أحـــدنا لا يكاد يرى الآخر ! أواه من هذا الملك الكبير الذى يقتص من شبابنا (تنظر بعيداً كأنما يئست من شىء) إنى أحسد الفلاحين والرعاة ... ! فى ذلك الماضى ... كنا نقطف الأزهار فى الفجر راكعين حوالها على العشب . وكان نداها الذى ينطف يعلق بشفاهنا وأيدينا . وفى الضحى كنا نلاحق الفراش . وفى الأصيل كنا نسابق الريح البليل ، ونود لو كان باستطاعتنا أن نلقى بأنفسنا فى النهاية فى أحضان السحب الوانية الحمراء (متضرعة) إخناتون ! . . ما أرانى قد تغيرت ، وإنى لجد مشوقة وقد بلغنا هذا الحد من الملك والدين أن تحملنى بين ذراعيك الوديعين وتعود بى ثانية إلى ذلك الماضى ، الذى لن تفارقنى ذكراه .

الملك — (وقـــد ازداد غموض نظراته القلقة) — آه يانفرت ! إنى ما زلت رهنا بهذا الدين ، رهناً بهذا الضياء الساكن الغامر . أنا راعى السلام والحب بين أبناء شعبى ؛ فكيف أفر من تبعاتى

الجسيمة لأخالسك قبلة فى الظلام الحالك ، أو أغرق يدى ويدك فى الندى عند الفجر ؟ نفرتيتى ! ! إن الفراعين من أبناء الآلهة يخلقون الحب ولا يعيشون به .

الملكة — إذن فمن نحن الآن ؟ انى لا أكاد أعرف من أنا ؟ ولأى شيء اشتاق ؟ أنظر إلى هذين الشعاعين الذهبيين (مشيرة الى المشرق) إنهما ينبعان من هناك ليستقرا فى عينىّ . لها أول ولها آخر . أما نحن فأولنا ذكرى متباعدة ، وحاضرنا حيرة متجددة ، وآخرنا مجهول مضيّع . أواه مما أكابده معك يا أخناتون ! علمتنى الشعر فلما نظمت لم تعجب بقصيدى !

الملك — أصغى إلى يا نفرتيتى . . . نحن نجمتان ساطعتان هاديتان فى الملكوت ، تخفقان للرحمة والحب والسكون .

الملكة — (فى ابتسام حزين) نجمتان تضيئان ولا تتحركان . . يا للغربة فى العالم البعيد ! ؟ . . وهذه الحركة الجميلة التى فى جسدى ؟ . . . كلا يا اخناتن ! إنما نحن زهرتان عاطرتان ، أنبتهما واد واحد خالد . زهرتان فقط .. أنظر (تضع يدها على قلبها) لو لا دقات هذا القلب النابض فى التراب ما كان شعورنا بالحياة فى جوف هذا الصمت المطلق . إن لفتة بسيطة من هذا الفكر

الأرض ترينا عالماً جديداً (يائسة) إنى امرأة يا إخناتن (تطوقه) دعنى اقرأ الحب الذى احتمله فى عينيك !

الملك — (فى حزن) الشعر المطلق فى هاتين العينين

الملكة — (مندفعة) بل الشعر المقيـــد (تتأمل أعماق عينيه) هأنذا فى أعماق عينيك يا اخناتن ... وإنى لأرى قصيدة فياضة عامرة الأبيات ، وتلك نفرتيتى المحبوبة الصغيرة جالسة تضحك بين أبياتها ! وافرحتاه بما أرى أى ملكى الشاعر ! لماذا تنكر انك تحبنى من جديد ، تحبنى أنا . . أنا . . بعد ما أحببت العالم كله ! ؟

الملك — (وقد أشرق وجهه) — يا لعذوبة عاشقة صغيرة !

الملكة — (مستغرقة) ما أجمل دائماً هذه القراءات فى عيون الآخرين إذا كانوا أحباء . (تتنشق الهواء بشغف كأنما تبحث عن شىء) نشطة هذا اليوم ، لا أدرى ما الذى حدث ، وإنها لصحوة فى عينىّ سعيدة جد السعادة على هذه المرتفعات . . حركت من خامل أمرى ، وأمدتنى بالمكنون من الشباب . لو كان بك بعض هذا يا اخناتون !؟

(تعانقه وتقبله وهى تضحك وتنفعل)

الملك — (مرتابا) أخشى يا نفرت أنك تعانقين الرجل القوى فى شخص هذا الفرعون العليل !

الملكة — (بعض مروعة) أى رجل يامليكى ؟ إنى لا أفهم !!

الملك — (فى نبرته المتوجعة) أتذكرين زيارة المعبد ؟ إن شباب ذلك الرجل الغريب أوزيران يبعث فى كل نفس نشوات ساحرة عميقة ، ويبسط حول محدثه آفاقاً غيرمنتهية من زخارف الحياة وألوانها ، ثم يؤجج فى قلبه جذوة الحركة . وإنى لأحسب نشاطك لهذا الرجل الخارق أكثر من اهتزازك بهذه الضحوة التى مررت بها عشرات المرات . إنه فتح عليك الطبيعة بمفتاح الماضى ، وكبّر فى نفسك مئات المرات شغفا خاصا بالحياة ، فانتفضت منذ لقائه بذلك العذب الموعود ، والبهيج المنتظر

الملكة — (متضاحكة) أواه يا إخناتون ، انك ترد على نشاطى الصغير دائما بفلسفة كبيرة مخدِّرة . أينبغى أن تكون غيورا من مثل هذا الكهل ؟

الملك — يعلم الله أن مابى ليس الغيرة

الملكة — إذن لماذا تتجنى على بعقلك المتطلع المشارف ، فوق مجافاتك وهجرك ؟ لو أنك تعطينى نصف قوتك وتأخذ نصف شغفى لملك الفرعون الشاب وزوجته ناصية السعادة فى هذا العالم .

الملك — (متشبثا بها فى ألم) نفرتيتى !! إنى أمرت ذلك الفنان

الموهوب الذى أخشاه أن يصنع لك تمثالا لم تشرق على مثله شمس قبل اليوم ، وبعثت إلى رجالى أن يعدوا العدة لاحتفال لم تسمع بنظيره الملوك أحيي فيه انتصار آتون ، وانصب تمثالك على مدخل المعبد فلا تتحدث الناس إلا به ، وستزّينين فى حفل الصلاة زينة تخشع فى أضوائها القلوب، وتشخص إلى بهجتها الأبصار ، وستجلسين فى اجتماع القصر إلى جانبى تصغين إلى أعذب الشعر وأسلس النثر ، وسينقش المؤرخون صورتك واسمك على كل الجدران ، ويتاح لك أن تمنحى دون النساء صولجان الخلد ، فيظل حسنك يهفو على العصور ، وتنساب ذكرياتك كالنبع خلال جوامد الزمن . وانى لأصغى الساعة إلى المستقبل كله جالسا على تلك الربوة المخضلّة فى أقصى البشرية يترنم باسم الملكين المطمئنين الوادعين . . . أفبعد كل هذا يبغى فرعون وزوجته أن يمسكا ناصية السعادة ؟ . . لماذا تتركين دائما فى قلبى الصاعد المفتتن ذلك الركن البائس المتهدم ؟ لو أنك أصغيت لى ساعة واحدة يانفرتيتى ، بكل وجودك ، لدان لى هذا العالم جميعه إلى الأبد ... نعم إلى الأبد !

الملكة — (تبكى مسندة رأسها الى صدره) كفى إخناتون . . ! اشد ما تؤثر فى نفسى . . حتى لأكاد أحس أن خطيئتى لن تغتفر

الملك — نفرت ! أتبكين ؟ كفكفى . . . إنى لا أحتمل .
(تسترسل فى البكاء فيضمها اليه ناظرا الى السماء) شكرا لله ! لقد عادت نفرتيتى الىّ ، وأعطتنى الدنيا زمامها ، ولكن ياربّاه . . . إلى كم يدوم كل ذلك ! ؟

ستار



الفصل الثانى

« بهوف القصر الملكى بأخيتاتون تقام فيه حفلات الصباح اليومية . الى اليمين درج عريض من الجرانيت المصقول يصل بين البهو الذى ينتهى الى خارج القصر وبين الطابق العلوى . على يسار الدرج وبمينه أبواب صغيرة مغلقة . فى نهاية البهو على يسار المشاهد مقعدان ملكيان تحف بهما مقاعد للنبلاء . أمام المقعدين الملكيين موطئان للاقدام ومن وراء دائرة المقاعد أبواب مغلقة . فى مواجهة الناظر أعمدة بعيدة فارعة ونوافذ كبيرة أسدلت عليها ستائر كثيفة زرقاء

الوقت قبل الشروق بقليل . يهبط على الدرج « أمازيس » معصوب الذراع الايسر بأربطة بيضاء تظهر تحت عباءته بينما يده اليمنى على مقبض سيفه وهو يسير متحذرا مستعدا للمفاجآت — يفتح الباب الايسر الصغير الملاصق للدرج وتظهر كاويت حالمة فى ثياب شفافة تنم عن رقتها ـ لا يراها أمازيس »

أمازيس — « وهو يهبط الدرج » لم تبق الا لحظات قبل شروق الشمس ... الشمس التى لم تتغير ، وها أنذا أدخل قصر فرعون وأخرج منه كنسمة من النسمات لايتبينها أحد . ليس هناك حراس .. ليتهم كانوا لأرى هل تصمد قواى للتضحيات المستمرة ! إيه من هذه القوة التى جمعتها قبضة يدى فانها رغم الجراح لم تستنفد بعد . لو كان باستطاعتى أن أمزق بهذا السيف المخضب بدماء النبلاء ذلك السدف الباقى من الظلام إذن لفعلت حتى تشهد الشمس انتصارى على سلام إخناتون الذى لاتستطيع الآلهة أنفسها ان تمنحه للأرض ... ياللأقدار .. طفولة ملك تنشأ

فى ظلالها الناعمة شتى أمراض النفس الاجتماعية : سينوتم ، كاموس ، سمنخكرع ، توت عنخ آتن ، تبوبواى ، أتيتى ، وذلك الداهية أوسركاف الذى ابتلعته الأرض . ثم يجىء المصلحون بعد ذلك فلا يبلغون إلى مكافحة الداء إلا بالداء من نظيره . وهكذا قُدِّر أن يجلس ابى الشيخ مضطرم الوجه هناك أمام قطعة من الحجر يمثل دوره الهائل فى غرام الملكة !! وأنا .. أنا الذى لا تلين صخرة قلبه أجد نفسى مأخوذا على مجاملة حفنة من صبية النبلاء المترفين ، حفنة من فتيان ليست لهم أدمغة ولا قلوب ماأرى إلا أنهم حُنطوا يوم مولدهم ثم اعيدت اليهم الحياة ، فلو صفرت لهم الريح صفرة بعد ذلك فروا إلى احضان أمهاتهم .

« يبلغ نهاية الدرج » ياللسموات اذن من هذا الغزل المذكر فى مدرسة للسيف ، ولكن .. « يتغير صوته » يشاء الله .. ان لا اخرج من هذه المعمعة الا بجرح صادق صغير فى قلبى المتشدد ، جرح مستنى به بأصبعها فتاة كالزهرة ... فتاة كالزهرة . « يغمض عينيه » السيف والغرام هما الحياة !

« يهم بالسير فتخرج اليه كاويت من ظلال الدرج مادة ذراعيها فى توسل »

كاويت — امازيس .. !!

امازيس — كاويت ! .. مازلت تنتظرين ؟

كاويت — ليتك تعلم أنى استمد من عينيك حياتى

امازيس — يالك من محبة عنيدة والشمس تكاد تشرق !

كاويت — « ممسكة به » امازيس ! لا تؤنبنى على حبى لك ! « ترى ذراعه الجريح » رباه .. ماذا ارى ؟ جرح ودماء .. ككل مرة سابقة ؟

أمازيس — دعى ذراعى يا طفلتى الصغيرة ، فليس الأمر بذى بال

كاويت — لماذا تكتم عنى هذه الزيارات الليلية الغامضة ؟ ما الذى يجرى دائما فى جناح النبلاء ، فى تلك الساعات الساكنة الصافية من الليل حيث تعود يا أمازيس فى نهايتها مضرجا بالدم ! ؟

أمازيس — أما قلت إننى أزور أبى ، حيث لا يسمح لمجنون مثلى أن يدخل القصر فى رابعة النهار .

كاويت — مجنون ! ! أتعود إلى هذا الأمر المحزن الذى تخفى وراءه العقل الرشيد والفكر المتقد ! .. معى .. معى يا أمازيس ؟

« تبكى »

أمازيس — كفكفى دموعك يا كاويت وابتسمى فما ينبغى أن تفعلى هذا وأنا راحل هذه المرة لا أدرى متى أعود

« تتناول يديه بينما يرتفع صوت عزف حزين فى مكان مجاور على مزهر منفرد »

كاويت — أهكذا . . . ينتهى كل شىء ؟

أمازيس — إن لك قدرة جميلة على الانتظار يا كاويت ، وإننى سأعود

كاويت — وخشيتى عليك التى لا تتصبر ، وأنا أعلم من أنت ... ولا أعلم !

أمازيس — يجب أن تبقى هكذا كما أنت ، طيف رقيق جميل فى عالم الأحلام ، دعى لى اليقظة كلها ، بما فيها من صراع وصخور وحقائق . نحن هكذا مجتمعين نمثل ســـعادة العالم المفقودة « عسك يدها » أقسم أن أعود

كاويت — أو ينبغى أن أصم أذنى عن هذه الهمسات التى تسرى حولك باردة إلى غرف القصر كنفحات الأقبية والسراديب ؟ إنهم يجهلونك هنا فلا أحد يعرفك غيرى وسيتأتن ، وإنى لا أدرى أموفق أنت أم غير موفق ؟ وما وجه هذا الخطر الذى تعرض له حياتك . . . وحياتى ؟ . . ثم أتسلمك الأقدار إلىّ وأنت لا تضعنى منك فى هذا الأمر الرهيب الذى تكتمه إلا كما تضع هذه الزينة على حمائل سيفك ! ؟

أمازيس — إنى موفق كل التوفيق يا كاويت ، ومعاذ الحق أن أضعك كما تصفين . بل أنت من الروح ما بين يدى ومقبض سيفى . وإنى لأدفع عنك أنت — بالذات — أيتهـا النبعة المتلألئة أمامى فى ظمأ الصحراء مصوّرة فى كل هذا الوطن الجميل العزيز . أنت

بالنسبة لى رمز . . حافز . . وطن صغير مجسم ! وغدا تعرفين .

كاويت — « متعلقة به » أمازيس ! إنى لا أستطيع أن أتكلم

أمازيس — ابتسمى !

كاويت — « فى تحالم » الكلمات تطير عن فمى ، كالعصافير حينما تطلع على أعشاشها الشمس .

أمازيس — هذه الموسيقى تتكلم عنك وعنى . كاويت ! إنى ذاهب قبلما يتحرك القصر ، وداعا طفلتى ! !

كاويت — « متصدعة » أما من كلمة ؟ . . يا للسماء ! . إنك تخلع على هذا الغرام مضاء السيف .

أمازيس — ستسمعين عن المجنون كلمات ! ! إنه فى الأسواق يذيع فى الناس ما يمليه عليه جنونه المخلّد . أما سمعت عن إله الحرب فى شاب متعطش ؟ . . إذن فما شأن هذه الهمسات التى تتردد فى القصر أيتها الحبيبة ؟ إنها متعلقة بجنونى ! !

كاويت — لشد ما أنت عجيب يا أمازيس . . . جنونك هذا يربطنى اليك بقوة لا مرد لها . ألا تحدثنى كيف أصنع ؟

أمازيس — ابتسمى ! . . . وإذا احتجت لفتاك فابعثى إليه من يتلمسه فوق الربى المحترقة المحدقة بالمدينة وفى الحانات التى يقلبها إلى معسكرات ، وفى غابات النخيل الجاهرة على امتـــداد النهر بتمرد باليقظة ، وتأله الانفعال . إنه هناك . . . هناك دائما ،

يشعل قمم الجبال التى انطفأت من عهد تحوتمس العظيم ، ويعرض على اجداث الموتى غرار ذلك السيف الذى جز أعناق الملوك الحمر، فيبعثهم بين النور والحق واجتراف الماضى الدفين . ويعود إليك مظفّراً يحمل النصر والحب فى يمينه . إن الشمس لاتكبل الأحرار يا كاويت ، فابتسمى . . ابتسمى . . ودعى نسمات عطرك النادر تطاردنى أينما غذذت خطاى . تلهب غفوتى ، وتثير فى نفسى ذلك الهيمان الذى يصرّفه العاشق إلى كل مناحى العبقرية . ابتسمى يا كاويت ، فأنت نفسك هى التى يسمعها الناس منى مرسلة فى كل تلك الخطب الساحرة الملتهبة . أنت فى عينىّ سر السيطرة ، وعلى فى سر عبادة الجماهير ، بل أنت سر وجودى الكامل (يمسك يدها) قلما عرفت مغزى الحياة قبلما وضعت يديك هاتين فى كلتا يدى فسنى منهما ادراك متنوّر لكل ما حولى من آلاء الصانع وجلال المصنوع . إنك ضاعفت المعانى فى عينىّ يا كاويت ، وضاعفت النور فابتسمى ؟ ابتسمى بالله قبلما أذهب .

كاويت — (دامعة العينين تغالب نفسها وتبتسم) إنى أبتسم يا أمازيس !

أمازيس — اقسم بذراعى المعصوب أن أنتهى إليك قبل أن أموت ! وإذا كان ذلك فانى اشتهى أن يكون أمام عينيك .

(تمر لحظة ... ثم يترك أمازيس يدها متجلدا ويمضى لا يعقب ولخطاه وقعها العسكرى المتزن ، حتى إذا ما بلغ مقاعد الملك والنبلاء وقف هنيهة ثم استأنف سيره وخرج من أحد

الأبواب . تستند كاويت برأسها الى حافة الدرج الاملس مرسلة عبراتها فى نهنهة خفيفة .
تتوقف الموسيقى و تدخل عندئذ سيتأتن وفى يدها مزهر فرعونى)

سيتأتن — ما لهـذا الطائر الصغير الذى شرد عن عشه قبل بزوغ الشمس ! . . ياالله . . إنه يبكى ، كاويت ! عزيزتى كاويت .. انتبهى لأمرك فان الرجال عما قليل سيملأون المكان

كاويت — (رافعة رأسها) سيتأتن !!.. إنه ذهب

سيتأتن — (فى صوت غريب) أوذهب حقاً ... ولكنه سيعود . إن أمازيس لا يكذب

كاويت — من لى بقلب أتصبر به ؟

سيتأتن — (تمد يدها اليها) سأعطيك قلبى ياكاويت . . . إن سيتأتن سترعى هذا الغرام . . . سيتأتن سترعى هذا الغرام

كاويت — (تتناول يدها منتبهة اليها) سيتأتن ! يدك رطيبة مرتجفة . . . وعلى وجهك اضطراب وحزن ! ؟

سيتأتن — (ذاهلة) لا عليك منى يا كاويت (بعد صمت) إنها الموسيقى

(يخرج من أحد الأبواب على يسار الدرج خادمان يزيحان الستائر الكثيفة فتبدو الشمس بازغة فى أول الشروق)

سيتأتن — الخدم يزيحون الستائر . واستقبال الصباح يبدأ على قدر ما نصل إلى مخادعنا . هيـا ياكاويت لنصغى من هناك إلى

الأناشيد فنحن لا نشهد هـذه الحفلات طالما الملكة محتجبة بين أستار المنحت ، تمشط تمثالها لعرس الخلود ...

كاويت — شكراً لك يا اختاه . إن قلبك يسيل الساعة إلى قلبي فأحس بأن جثمانين متباعدين يشملهما قدر واحد وأتصبر . . . . دعيني أقبلك

(تقبل وجنتها وتنصرفان من حيث دخلتا . . يهبط على الدرج كاموس يغنى - كما يمكن أن يغنى البلهاء - هذه المقاطع من شعر الملك)

الله يا حسبي في نورك العــــذب من منبع يسبي للخفض والحب يشرق في قلبي

(يتلفت حواليه فلا يرى إلا الخدم فيتجه ناحية النوافذ وقد انصرفوا ويكمن بمقربة من الستائر يتأمل الحدائق - تسمع أصوات جدل ويهبط آى ونخت ومنا يتفكهون والسيوف فى أيديهم يتبعهم سمنخكرع يقلب سيفه دهشا معجبا وتوت عنخ يعالج قفازاته فى يديه كالعادة)

آى — « وهو يقفز الى وسط البهو » قسما بآتون وآمون وجميع الآلهة انى أصبحت بطلا . يا أولاد من منكم يبارزنى الساعة ، هنا فى هذا المكان المتسع ! ؟

نخت — « ينتضى سيفه » انا لك ايها الغلام

منا — بل دعه لى يانخت ، فقد تلقيت عن المجنون هـذا الصباح طعنة بارعة أريد أن أجربها فى هذا الديك .

آى — تقدموا . . . تقدموا . . أنا لكم جميعا ايها الشجعان

(ينسحب نخت ويتقدم منا من آى)

سمنخكرع — يالسلام اخناتون الضائع .. هنا .. هنا .. على ظل عرشه الممدود !

توت عنخ آتون — تالله ليفاجئنكم سينوتم (ينظر الى سيفه القصير المعلق فى حزامه تحت العباءة) لا أدرى هل يمكن اخفاء هذا الشىء اللامع فى طيات العباءة (مغمغما) يمكن ستره . . . مع بعض الحذر

(آى ومنا يلتحمان بالسيف)

منا — هكذا .. إنك صعب المراس يا آى

آى — انتبه يامنا ... سأطيح سيفك بعد لحظة على موطىء اقدام الملك

توت عنخ — (متجها الى المتبارزين وقد فرغ من زينته) يا ابن عمى سمنخكرع .. ماأروع هذا المنظر الفريد الذى تحييه أشعة الشمس ! أين المصورون والنقاشون والملونون ؟

سمنخكرع — ان يدى تضطرب فى مستقرها

نخت — اليك يامنا .. خذها عليه ... لقد كشف صدره

آى — ياللولدين . أيغلبنى كاتب وبستانى ؟ إذن فلألق على وجهى فى الصحراء ! ولتنهش الضباع الجائعة آذانى التى لم تع تماما نصائح المدرب المجنون !

سمنخكرع — المجنون !؟ أمجنون واحد ؟ لقد أصبحوا خمسة فى هذا المكان !

توت عنخ — المرض الفاتن السريع العدوى ! ؟ ولكن
آي الذى تنبأ به كان أكثرنا قابلية فيما يظهر (يخرج سيفه من غمده
ويتأمله معجبا) سيف جميل ناصع .. ان به لمجالا كبيرا الفن المرصع !
(يحصر آى صاحبه فى زاوية و يطيح سيفه)
نخت — ياللخسار ! إنك لم تتعلم الطعنة البديعة كما ينبغى يامنا
آى — (مفاخرا) غيره ... أيها الشجعان . . أيها الأبطال !
من لهذا السيف الوامض النشوان ! أقبل إلى يا نخت وأرنى كيف
تعلمت أنت الطعنة والوثبة ! ؟

منـــا — (ملتقطا سيفه فى كد) واأسفاه .. لم أجن بعد كما ينبغى
نخت — (شاهرا سيفه) أخشى أن أقد ضلوعك يا آى
آى — (هازئا) أنت ... أيها الطفل الشاعر ؟ ولكنى سأبقى
عليك ، حتى تكبر و تشهد بعينيك تلك الحرب الطاحنة التى سأثيرها
باسم هذا السيف !
كاموس — (مغنيا مرة أخرى) الله ياحسبى . . .
(يتوقف المتقاتلان ويضحك الباقون)
منـــا — (ساخرا) يا للصوت الملكى !
توت عنخ آتون — قصائد الملك تترنم بها الأرواح فى
نسمات هذا الصبح المعطر .
آى — (محنقا وهو يصر على اسنانه) إيه أيها البليد أليست لك قدرة

على النوم أكثر من هذا ؟ أين كنت مختبئا ؟

توت عنخ آتون — كان لاصقا بالجدار

(كاموس يتقدم اليهم فى جموده العجيب باسطا ذراعيه)

سمنخكرع — أسعد السيد كاموس صباحا

كاموس — أنا .. أنا .. ماذا فعلت أيها السادة ؟ لقد كنت أغنى .. كنت أغنى فقط

توت عنخ — (ممسكا بكتفه) أيها العزيز . . . ليتك لم تفعل !

نخت — كأنه لا يعى من هذا الوجود إلا خيالات

سمنخكرع — هذا خير ما فيه

منا — أصغ إلى يا كاموس ! إننى حاجة إلى دريّة عظيمة مثلك أثبتها على الحائط فأتدرب فيها على إجادة طعنة بارعة يشق على أداؤها حتى اليوم

كاموس — طعنة !!!

آى — (متبرما) ألا تقطعون لسانه فيصمت إلى الأبد

(يهبط حارمحاب من الدرج يسحب على أذياله سيفه ضاغطا يديه معا فى حبور الصبح)

حارمحاب — أسمع جدالا ... ماذا تفعلون بالسيد كاموس أيها السادة ؟

كاموس — (متجها للنبلاء كأنما فطن أخيرا الى تأنيبهم عن نفسه) نعم ماذا تفعلون بالسيد كاموس أيها السادة ؟

نخت — كنا نقتتل مستعيدين دروس المساء حتى عثرنا بهذا القرد مختبئا يحصى علينا وراء الأستار !

منـــا — إن لكاموس غراما بالتجسس

توت عنخ — انه لا يتجسس ، ولكنه يلتقط من الأحياء فتات الحكمة ليستطيع فيما بعد أن يعيش . . . ويحكم !

حار محاب — (قابضا على ذراع آى ومتجها اليهم فى شعور مفاجىء) أيها الأبالسة ! يا أبناء سيتى ! انى أشم رائحة نشاط غريب . عيونكم جاحظة من الاجهاد ، وقلوبكم تطفر الى حلاقيمكم ، وأنت يا آى هذا ذراعك يضخم ويتجدل ، أما تخشى أن يتحسسك سينوتم ؟

سمنخكرع — لو بلغ اليه الأمر ؟

آى — (غير عابىء) ان أعدل حتى أبلغ المقدور من حظى على هذا الغرار

سمنخكرع — يا له من تيار نساق به إلى الجنادل . . . والدنيا من حولنا كلها جامدة

نخت — (فى حماسة) طالما حماثلى ثقيلة ، ويدى لم تعصبها الأكفان بعد ، فان الكلمة كلمتى . . والحق حقى !

توت عنخ — بوركتما من سنَّورين متحابين !! إن آى ونخت محمومان يا حار محاب من أثر ما كانا يتناجيان

آى — (محتجا) من أثر ما كنا نقتتل بالسيف ياتوت عنخ

كاموس — (محملقا بعينيه) بالسيف !!

حارمحاب — (مستدرجا) حبذا لو كانت تظهر هذه السيوف الشابة المشحوذة فى حفلة الملك الدينية !

نخت — بدل الأدعية والصلوات !

سمنخكرع — (فى غير احتمال) رحماك يا رب !

آى — انى سأقترح ان تدخل فى برنامج هذا الاحتفال مبارزة فى السيف بين آى وأحد رجال الدين

توت عنخ آتون — (باسما) انك لن تجد إلا الذى يضربك بالعصا.

حارمحاب — ما رأيكم فى أن نلتقى اليوم فى الحديقة خلف معبد القصر لاتمام الأشواط ؟

آى ونخت — (متلهفين) متى . . ؟

حارمحاب — فى الضحى !

منا — فاذا دعينا لمرافقة الملك فى صلاة بعيدة ؟

آى — نعتذر

سمنخكرع — الطامة تقترب !

حارمحاب — أما أنا فأوافيكم على أى حال

منــــا — الويل لك منى يا آى فسأجد الفرصة عليك فأنى رجل يغرينى نفح الزهر على القتال

كاموس — (يمد كلتا يديه لحارمحاب) وأنا أريد سيفا . . وعلمونى كيف أضرب . . سيفاً !!

حارمحاب — أتعد أنك لا تفشى هذه الأحاديث ؟

كاموس — (فى اضطراب) كاموس لا يفشى شيئاً

حارمحاب — (يعطيه خنجراً من منطقته) حسناً ... إليك هـذا الخنجر . . فاذا ما مرنت عليه أعطيناك سيفا

كاموس — (يقلبه مروعا) وكيف أضرب بهذا ؟

حارمحاب — (ساخرا منه) هذا رجل (ممثلا حركات القتل فى الهواء) إضرب . . . إطعن . . فى القلب ، فى العطف الأيسر، تفر ، تطلق ساقيك للريح . . .

كاموس — وكاموس . . ألا يذهب إلى الحديقة . . وراء المعبد ! ؟

حارمحاب — (مدللا) كاموس ينتظر هنا . . . . يراقبنا من النافذة .

(صوت أبواق تعلن خروج الملك إلى استقبال الصباح)

سمنخكرع — أغمدوا سيوفكم ، وتحوطوا

توت عنخ آتون — حذار من عين الصقر!

حارمحاب — (بأعلى صوت) اصطفوا!!!

(يقفون فى صف واحد على امتداد البهو على هذا الترتيب من جهة الدرج : منا . نخت . كاموس . حارمحاب . آى . توت عنخ آتون . سمنخكرع . يدخل فى هذه اللحظة من باب الى اليمين للدرج سبعة فتيان فى ألوان زاهية متحدة يحملون آلاتهم الموسيقية ويصطفون وراء النبلاء . يهبط الملك محلى بالعقود والجواهر على يمينه الملكة تى والوزير راموزا وعلى يساره عنخسنباتن احدى بناته وزوجة توت عنخ ثم الكاهن سينوتم يتبعهم القائد رمس وقاضى القضاة أتيتى — يتقدم الموكب فتيان يحملان الأبواق والأعلام حتى إذا جلس الملك انتحيا على جناحيه — يبلغ الملك مكانه فيجلس ويجلس من حوله تى وسينوتم الى اليمين وابنته وراموزا وأتيتى الى اليسار ويبقى كرسى نفرتيتى خاليا ويقف رمس والفتيان)

النبلاء — (ينشدون مع الفتيان الموسيقيين نشيد استقبال الملك)

« الجميـــع »

تحية للتاج تحية للنورْ

معزز المنهاج مؤيد منصور

« النبـــلاء »

ياحسن ما ذهّبه الضوء الندى

من مشرق الصبح ومثوى العسجد

الشمس فى مسبحها المجدّد

تؤصل فوق مجـــده وتغتدى

« كبير الموسيقيين »

آتون . . آتون .

« الجميـــع »

هيكلها أسداف في الأفق الشرقي
زاهية الأعطاف شبت عن الطوق

« النبـــلاء »

موكبها من شاطىء مغرِّد
إلى ضفاف حالم مورد
أي محيط من وقار ودد
منتثر الآمال ضاف سرمدي

« الجميـــع »

شراعها التـــبري في موجة الأحداق
أمضى من السحر أسرى من الأشواق

« كبير الموسيقيين »

آتون . . . آتون .

« النبـــلاء »

رباه من هـذا الشباب الأرغد
شباب شمس في سماء الأبد
أسبغ على مصر مُـنى وخلـِّد
وزُفهـــا من سؤدد لسؤدد

« الجميع »

تحية للتاج تحية للنور
معزز المنهاج مؤيد منصور

(تعزف موسيقى تصويرية قطعة خافتة عن الشروق بينما يتحدث الملك الى نبلائه)

الملك — (مبتهجا) أسعدتم صباحا أيها النبلاء

النبلاء — أسعدت صباحا أيها المولى

الملك — ياله من صباح سعيد ، لولا أن الملكة ماتزال محتجبة ! إن الفراغ الذى تحدثه نفرتيتى لا يمكن أن تملأه أية أميرة . . .

(ملتفتا الى ابنته ـ فتاة حيية لطيفة لم تتجاوز الرابعة عشرة)

حتى ولو كانت عنخسنبأتن أحب بناتى إلى . . . أليس كذلك ياعنخسنب ! ؟

عنخسنبأتن — نعم ياأبتاه . إن فراغ الملكة كمحيط الظلام لا تملأه إلا الشمس

الملك — (الى حاشيته) فى هذه الساعة من إشراق الصبح تشرق العبقرية فى قلب كاهن آمون فيستبق الملكة معه لينقـل حقيقتها الجميلة إلى المرمر ، وينقلها هذا من بعده إلى الاجيال والأزمان ! نعم ، وفى الأصائل يلقى اليه الشفق الوردى من خلال الغروب بأجنحة يحلق بها طول المساء حول ذلك التمثال . إنى لأصبو أن ينتهى ، ولقد أخبرونى أنه قارب ذلك ، حتى نفاخر

به فى احتفالنا الدينى القريب حين يشهده الشعب موسوماً بالدعة والمحبة قائما فى صدر المعبد (الى سينوتم) إنى لا أرى أوسركاف من أيام طويلة ياسينوتم ، أهكذا يحتجب أحباؤنا واحداً بعد واحد !؟

سينوتم — (وهو يفيض مكراً واستضعافا) يامولاى ، القائد المسالم أوسركاف . . لقد أصابه من هذا الدين تتميم غريب ، فأقسم أن لا ينقطع عن صلواته وأعاييده إلا جثة هامدة ، أو يدعوه الملك لأمر جلل ، ولا غرو يا مولاى فقد حدثنى أوسركاف أن ما قتله من الناس ظلماً فى تلك الحروب القديمة يكفى لكى يثقل ضمير الأرض ، فهو حين يهب حياته الصغيرة اليوم للعبادة والصلاة فانما لكى يسمح له فقط بمحاولة التكفير فى العالم الآخر .

الملك — (فى شرود) ما أشد إيمان الرجل حين يزمع ... (مفيقا) لسوف نجزى أوسركاف ، ذلك الليث الذى قلم أظفاره من الندم بأن يدفن معنا فى مقبرة واحدة

سينوتم — الله يحفظ الملك ، ويديم علاه ، ويرعاه

الجميع — آمين .

الملك — (للنبلاء) اليـــوم نذهب جميعاً إلى صلاة حافلة بالسرور المتيقظ فوق الجبل الشرقى . قد شارف احتفال السلام أن يقام ، وإن الدنيا كلها لتغنى وتنشد (مناجيا ايام) أيتها الحمائم

الوديعة التى صنعتها على عينىّ وقلبى ، وجعلتها بأجنحة بيضاء غير ذوات أظفار ومخالب تمدون إلى الحياة أيديا فارغة إلا من الحب والمسرة .. من منكم لا يرفرف له الآن جناحان إلى ذلك المكان اليانع المقدس ؟ هناك حيث النسيم البليل الذى يتعشقه كبير أشرافنا « سمنخكرع » وحيث تلق أشعة آتون الأبدية على عباءة « توت عنخ » المزركشة زفافا رائعاً من الذهب والنور ، وحيث يروق « آى » فى عين الحياة مستلقياً على العشب الأخضر يقضمه من الشغف والهيمان ، وإن الصدى الطفل ليجلس الساعة إلى ظلال تلك الربى مسروراً يخترقه البشر فى انتظار العزيز « كاموس » ليتبادل معه عن قرب أناشيد الملك وترانيم آتون . . (يتبادل النبلاء النظر) من تنسق فى فمه الألحان مثـــل كاموس ضابط الايقاع . . . (تضحك ابنة الملك و يشيع الابتسام فى الباقين) وإنى لست فى حاجة أن أحدث «نخت» عن الجمال ، كيف لى أن أفعل مع شاعر ! أما هذا البستانى الأمين «منا» فكله من نصيب الشمس . . هلم أقبلوا إذن أيها الأعزاء الأوفياء (مشيرا الى راموزا واتيق) ولنترك شئون القصر كالعادة لهؤلاء الشيوخ المحنكين . إن الشباب فى حاجة إلى التزود فى فجر حياته من القدسية والنور

(يقف الملك وتقف حاشيته ولكن أحداً من الفتيان لا يتحرك وقد قيدهم الحرج فى أماكنهم)

أتيتى — (متقدما من الملك) يامولاى ! ألا تمنح أتيتى الشيخ مثل

هذا الشرف الشاب؟ إن جثمانى القديم المفكك ان يتماسك بعد اليوم حتى تعلن الشمس مباركته فى مثل هذا الصباح الجميل.

الملك — (عاطفاً) لك هذا ياأتيتى الموقر (الى النبلاء) فى عهدتكم هذا المتشبب العزيز حتى يعود سالماً إلى هذا المكان

آى — (خارجا من الصف فى اندفاع صبيانى يوشك به أن يبكى) مولاى... أخشى أن أقول كلمة !!

الملك — لاتخش شيئاً يا آى ... قل.. تكلم

آى — ألتمس أن تعفينى من الصلاة هذا الصباح ! إن شيخوخة طارئة تتملكنى اليوم على غير توقع. أحس كأننى لست موجوداً فى نفسى (فى ضراعة وهو يشير الى نفسه) آى ليس موجودا هنا الآن يامولاى.

الملك — (باسما وهو يقترب منه) إذن فمن هذا الذى يتحرك فى فمه ويكذب أيها العزيز؟

آى — (على الفور) خادمه الأمين يامولاى !!

الملك — (رابتا على منكبيه) حسنا أيها الرجل الفاضل، يا خادم آى الأمين، عندما يعود سيدك المتعب المسكين فأخبره أن الملك ان يعفيه من الصلاة مرة أخرى ... (ملتفتا الى الآخرين) وأنتم أيها السادة !؟

كاموس — (خارجا بدوره من الصف) مولاى ... ألتمس .. ألتمس يامولاى (فى لهجة معذبة وهو ينفض رأسه الى صدره) كاموس . . . كاموس ليس هنا !!

(تضحك ابنة الملك ضحكتها الخفيفة)

الملك — (مداعبا) يا لخسار الأناشيد . . . وأنت يا نخت . . أيها الشاعر !

نخت — مولاى . ياصاحب العطف الجميل .. لو تركت لى الاختيار ، فان وجودى مشبع الساعة بقصيدة بلغت أقصى حدود النضوج ، فلا راحة لى من هـذا التوتر والاضطراب حتى أكتبها وراء معبد القصر ، هنـاك تحت الأشجار المزهرة ، بين حفيف الأغصان وتعانق الظلال ، بين اختلاط اللفحات الحارة والنسمات الرطيبة ، بين ترجيع الفاختة والقمرية على تلك الحوائط المتقابلة فى مكانين مجهولين . . . الشعر والصلاة يامولاى صنوان . . وهذه قصيدتك !

الملك — (مبتسما فى شك برىء) ما أنا بمصدق أيها الفتيان إلا أنكم تأتمرون بصلاة اليوم لترافقوا حبيباتكم وزوجاتكم منفردين إلى الحدائق ، وتأكلوا الحلوى والفاكهة (يلتفت الى ابنته) أليس كذلك يا ابنتى غنخسنبأتن (يلتفت الى النبلاء) أليس كذلك ياتوت عنخ ، يازوج ابنتى ؟

توت عنخ — أنا فى خدمة مولاى إلى الأبد

سينوتم — (فى شر مبيت) مولاى . . . إن لى كلاما فى هـذا (يقف بين الملك والنبلاء) معذرة قبل كل شيء ، أعلم أنى سأعكر صفو هـــذا السكون ، ولـكن . . . هناك ماهو أهم من هذا وأجدر (الى الملك) نعم هناك يامولاى ماهو أهم من هذا وأجدر

(تسمع فجأة دقات طبول تقرع بشدة متجهة الى أبواب القصر)

الملك — من هؤلاء الذين يعكرون صفو السكون ؟

تى — (واقفة نصف مروعة) لـكأن الحرب أعلنت من حولنا ولم نشعر . . سينوتم . . أهل دقت الساعة ؟

(تقف ابنة الملك بدورها تتطلع بوجهها الطفولى هنا وهناك)

راموزا — (متدخلا) لعلها يا صاحبة الجلالة إحدى الفرق التى استدعيت من الشمال

تى — (ولم يفرخ روعها) كان يجدر أن يسبقها رسول ، وأن تضع أسلحتهـا فوراً وتتجه إلى الثكنات (فى جفوة) إن قصر الملك لم يعد يستقبل القتلة العائدين من الميدان

المـلك — (فى ألم وحزن) لم لم تنهوا إلى جميع العائدين أن الملك لم يعد يسكن إلا عشا على ضفاف النيل ؟

سينوتم — (فى لهجة خطيرة الى النبلاء) ألا يعلم السادة شيئاً عن سر هذا الضجيج المسلح . . ! ؟

الجميع — (فى نصف تمرد) لا نعلم ؟

(يدخل رمس)

رمس — مولاى ! ضابط من الفرقة الثانية مستعمرات قدم توا من الشمال فى كوكبة من الفرسان وعدد كبير من الأسرى . . يلتمس الحظوة بلقاء الملك .

تى — (منفعلة وهى تحاول التأثير فى ابنها) يا للرؤوس الشيطانية المدبرة هناك ! يرسلون إلينا بهذه المظاهرة الوحشية على طول الطريق الوعر ، ليثيروا فى الناس ذلك القرم القديم إلى اللحم الآدمى ، ويبعثوا رفات الحرب الذى مات واندثر (فى تهكم وهى تنظر الى راموزا) إنى أعلم . . . إنى أعلم . . ولكل شىء حساب !

الملك — (مأخوذا) أسرى ! أسرى حرب . . . هنا فى هذا المأمن ؟ غفرانك ربى . . أما لهذه الجيرة المعتدية حد ؟ (الى النبلاء فى عطف) انصرفوا الآن أيها الأخوة . . . إنصرفوا إلى حدائق القصر البعيدة . لاينبغى أن تشهدوا أو تسمعوا شيئاً من هذه القساوة التى مازالت تسيل من جوانب الحياة . كونوا كما صنعتكم ... (ملتفتا الى ابنته) وكذلك أنت ياابنتى ، انصرفى مع زوجك وإياك أن تمسى سجوف النوافذ لتشهدى هذه الإنسانية المعذبة ...

(الى الجميع فى يأس) انصرفوا ... وأذيعوا رغبتى فى كل مكان بين هذه الجدران الشاحبة من الخجل

(ينصرفون من الأبواب اليمنى ويصطحب توت عنخ زوجته ، يجلس الملك ويجلس الباقون)

الملك — (لرمس) إيذن للرجل

(يأذن رمس ويدخل ضابط مغبر عليه سيماء البسالة)

الضابط — (مؤديا التحية لفرعون) النصر لمصر ولفرعون أينما سارت جيوشه فى الشمال والجنوب ، لقد بلغنا غايتنا من الأعداء ، أى مولاى وقائدى ، وباعث همتى على القتال .. إن جنديك الماثل بين يديك أسر وحده من هؤلاء العصاة المستبسلين أربعين محاربا بين فارع وقمىء ، وضامر ومسمن ، ولقــد وفق قائده الأصغر فى مكافأته على بسالة لم يتميز بها فارسلنى إلى أعتــاب مولاى بشــيراً بالنصر الأكبر ، وطالعا لليمن الأكيــد أسوق امامى هــذا القطيع المهين من شباب الأعجام وشيوخهم الذين لن تــكف لهم غريزة للتمرد وشهوة إلى الانتقــاض حتى تجدع أنوفهم وآذانهم وتقطع أيديهم وأرجلهم ... (الملك يرتاع فيخفف من حدته) وليأذن لى مولاى أن أجسر فألتمس الأمر الـكريم بسرعة إرسال الامدادات إلى الحصون الشمالية قرب قادش ، وإنا لمنتصرون منتصرون ، ورادون الأمر إلى فرعون فى كل مكان ضرت فيه النار وامتدت إليه الفتنة !

الملك — (وقد تغير لونه) أو هذا كل ما عندك أيها الرجل ؟

الضابط — بقيت الطاعة بعد ذلك يامولاى والآمال .

الملك — (مطرقا على موطىء قدميه يشع من نظراته ذلك القلق الخفى) ترى ما يمكن أن تكون آمالك ؟

الظابط — أن أعود سريعا بالامدادات . مولاى ! . . إن ألفا منا يقاتلون هناك عشرات الألوف

الملك — (وهو يتأمل عفوا تلك الرسوم الملونة على موطىء قدميه) وهؤلاء الأسرى !؟

الضابط — نجرى عليهم من التعذيب والتشفى كل تقاليد الأقدمين

الملك — (فى ألم بالغ دون ان يرفع راسه) سينوتم أقبل (يشير الى الرسوم التى انتبه اليها) أنظر ياكاهن العدل ، أنظر ما ذا ترى ؟ هذا أمر لم أفطن إليه منذ وليت مكان أبى

سينوتم — (متجاهلا وهو ينحنى بخبث) ماذا أرى يامولاى ؟

الملك — أنظر جيداً . إنه موطىء أقدامى . . هذه الصور الملونة على الجص المذهب تحت الزجاج الأزرق . . أية صور هذه ياسينوتم !؟

سينوتم — (منتفضا وهو يتفرس فى الصور) يا مولاى . . . أرى

أسرى . . أسرى لا عداد لهم ، موثقين فى حبال الذل ، مطروحين ارضا . . حتى إذا ماجلس الملك وطئهم بكلتا قدميه ، وطىء أعناقهم

الملك — (مرتعدا) ولـكننى لست الملك الذى يفعل ياسينوتم !!

سينوتم — (مؤمنا وهو يرفع وجهه) نعم يا مولاى .

الملك — (دون أن يرفع بصره) رمس . . يرفع هذا الموطىء الى المصورين والملونين ، وليمح العار عنه . إن الملك لا يطأ باقدامه الا جادة الطريق ، وقلما مس العشب النضر بقدميه الا متكرها . انظر إلى موطىء الملـكة !

رمس — (رافعا موطىء الملكة متفرسا فى رسومه) بحيرة صافية زرقاء وزهور زاهية عائمة . . واعشاب من البردى . . وطيور مائية . . وقارب صيد فى جانب البحيرة

الملك — هذا يطيب لملكة شابة . . .

(يضعه رمس فى مكانه)

رمس . . . الآن جرد هذا الرجل من سيفه ، والحقه بالبلاط فى أى عمل مدنى (جافلا وهو يتأمله) يا الهى لـكأنه أمازيس جاء مغمورا فى التراب !

الضابط — (متراجعا خطوة فى ذهول) مولاى . . . غفـرانك . . . أشككت فى صدق روايتى ؟ إن جنودك لا يكذبون (يخرج سيفه من

غمده خافضا اياه أمام الملك) هذا سيفى . . تنازل بالنظر اليه يا مولاى ، ولتنطق امامك بالحق دماء المئات الذين فتكت بهم من الأعداء !

الملك — (مخفيا عينيه بيديه وقد انفجرت آلامه) اغمد سيفك يارجل! انه يلقى على الارض خيالات مروعة ! !

رمس — (محتضنا الجندى بيدين حديدتين) اتبعنى .

الضابط — (متوسلا وهو مسوق) مولاى! مر بقتلى خير (يكرر ذلك حتى يغيب صوته)

الملك — (واقفا ومن حوله) راموزا ! . عليك بهؤلاء الأسرى فحل وثاقهم وأكرم مثواهم ، ولينزلوا أضيافا لدى فى مكان آمن من القصر حتى ذلك الغد القريب الذى نحتفل فيه بانتصار إله الرحمة فنخلع عليهم من جنسية رعايانا تقربا اليـــه وزلفى . . . ولتكتب بعد ذلك الى هذا القائد الذى يقاتل هناك ويكبل الينا الأسرى اننا لا نريد ذلك . . لا نريد ذلك ! لينسحب بجنوده إلى اقصى موقع ليس فيه قتال . نحن لا نستعمر ، نحن لا نستعبد . نحن لا نريد الحياة إلا سلاما ومحبة !

(يتداعى متأثرا ويذهب راموزا)

انا ذاهب إلى غرفة صلاتى يا أماه . . ما زلت ارى الله فى حاجة إلى قرابين أخرى من الصلوات . . والتأملات

تى — (متشبثة به وقد برقت عيناها) يا بنى . . الآن وقد ذهبوا فلى معك كلمة

(تلتفت الى حاملى البوق والعلم فيشير لها الملك بالانصراف)

الملك — (مأخوذا من جديد) أسر يا أماه ! ؟

تى — (وقد جحظت عيناها من الاستهوال) سر يا بنى ما يلبث ان ينمو ويطير ، مضطربا فى الارض حتى يصبح فضيحة !

الملك — (مغرقا الأسى) أشكوى جديدة من نفرتيتى ؟

تى — ليست شكواى من نفرتيتى الزوجة ، ولكنها شكواى من نفرتيتى الملكة . هذا الملك العريق الذى شيد من لباب الحكمة والبسالة توشك أن تعبث به امرأة تتستر على الخيانة (ملتفتة الى سينوتم) ، تكلم يا سينوتم . . . لماذا تقف جامدا ؟

(سينوتم يتلفت بينهما)

الملك — (مستدرا عطفه على آلامه) تكلم يا سينوتم . . ما هى هذه الخيانة ؟

سينوتم — مولاى . ان ادلة الاتهام فى ايدينا واهية غير دامغة ! لقد فرضت علينا محض الثقة وحسن الظن ، ولكننا استطعنا بحكم احساسنا الذى ترهفه الآلهة الساهرة عليك ، أى فرعون مصر المعبود . . . (يتردد)

الملك — (قلقا) انى اريد ان اعرف يا سينوتم مرة واحدة

سينوتم — (كأنما يتحلل من قيد) أذن فهو اوزيران يامولاى ، كاهن آمون القديم . . عدوك اللدود . . لقد وضعنا الافعى خطأ فى عش القمرى ، لأنا وجدنا على جلدته ريشا ناعما ، وسمعنا منه ترجيعا واهازيج

الملك — (متأثرا) اريدأن اعرف يا سينوتم ماذا فعل أوزيران

سينوتم — (متحمسا) لقـــد قلت يا مولاى ان الادلة تنقصنا ، ولكننا نرى أشياء كثيرة ، شديدة الارتباط كالحلقات التى لا تنفصم مذحل علينا هذا العدو الخطر ، فانظر إلى جلالة الملكه كيف اهملت واجبها المقدس فى حضور حفلات الاستقبال الصباحية !؟

الملك — انى اذنتها فى ذلك ، فالرجل لا يواتيـه الهامه الا مع شروق الشمس ، وأوائل الامسيات ، وليس فى هذا كما أرى من بأس على وعلى الملك يا سينوتم

سينوتم — وقد بدأت الاسلحة بكامل أنواعها تتسرب إلى القصر ، ولو صدقنا تقارير المراقبين الذين وضعناهم فى كل زاوية منه لتعـين ان نشفق من هول الخطر الذى اصبحنا نستهدف له ويستهدف له العرش ، فان هؤلاء النبـلاء الفتيان وهم آخر من يعتصم بهم الملك لنشر تعاليمه والدفاع عنها ، هؤلاء النبلاء الذين

ـيرثون العرش ويحفظون الذين يتلقون بنشاط منـذ أمد طويل دروسا فى السيف والحصر وادارة القتال استعدادا للحرب . ولعل مولاى قد أدرك منهم اليوم بعض مايريب ! وانى لعلى يقين من انهم الساعة يرتلون بحدائد سيوفهم وراء معبدالقصر قصيدةالمروق والوحشية والتآمر . . قصيدةآمون ، لا قصيدة الاشجار المزهرة !

الملك — (هادئا متجلدا) نستطيع ان نحقق ذلك

سينوتم — وتحت يدي احصاء عمن دخلوا اخيتاتون فى الفترة الاخيرة منذ هبطها معنا هذا التآمر ، ترى فيه يامولاى ان المدينـة ضاعفت سكانها مرتين فى فترة لا تزيد عن اربعة اشهر ، وان بها اليوم جيشا لا عـدد له من الجنود المرتزقة ، والـكهنـة المتعطلين والقتلة والأوشاب

الملك — (فى انفس لهجته وهدوئه) ونستطيـع ان نحقق ذلك ايضا يا سينوتم

سينوتم — (وقدفرغ صبره امام الملك) والجنون ! . . المجنون السياسى ! السفاح الخطر ! ولد هذا المتآمر يامولاى (فى صوت خاص) امازيس ، الذى اعترضك هناك فى المعبد ، وحدق فى وجهك بعينيه الدمويتين الحجريتين . إنه يتصعلك الآن فى طرقات اخيتاتون ، ينطوى فيها نهارا ويتوهج ليلا . يخطب بالحانات ، وعلى رؤوس الربى ، فيطلق بكفيه على اجوائها الأرق ، ويضرم فى جوانبها النار ، ويفتن بتلك النبرة

المزجة المجنونة التى تميزه ألباب المغامرين . ويقدُّ بذلك السيف المسحور الذى يحمله آلاف الضمانات المقدسة التى جمعنا بها بيننا وبين هذا الشعب البائس فى ديننا الجديد . مولاى ! نحن هنا مغرقون فى النوم . . . نحلم ونحلم ، بينما تسيل الوفود الى المدينة أفواجا من كل مكان لتسمع على منابرها قصيد الثورة ، وتشحذ على حوائطها مُدى الاغتيال ، وتسلِّم فى هـذا الهدير الآخاذ زمامها وقيادها للرجل الذى إن ملك . . فسيغرق فى الدم كل ما أشعت فيه النور

الملك — (الى أمه وقد استبد به الوهم) أماه . . . أنت تشيرين علىَّ . . . اذا كان هناك خطاب متوقع !

تى — فليُشر هذا المخلص سينوتم ، الرجل الذى لا يتغير قلبه (فى حنان واستدراج) اننا يابنى — أمام الناس — لا ينبغى أن نخرج على قواعد الديانة ، فلو استعنا بالجيش على اخماد الفتنة . . !!

سينوتم — (متمما فى كياسة) لذُعر الناس يامولاى ، وعجبوا من أن إلهنا الرحيم يتوسل الى سلامه بحد السيف !

تى — أصغ ياإخناتون ، ياولدى العزيز الوحيد ، لا يصلح الأمر فى يدك الآن تمحو صفحات أعدائك جميعا . وانك لن تكون جلادا ، فدع الأمر لغيرك ومُربه . . أليس كذلك ياأتيتى ! ؟

أتيتى — (مضطربا) هو كذلك يامولاتى

الملك — (فى أسف وشرود) أحقا ياأماه ؟ أفلو كنت ضخم الجثة ، دموى المزاج ، جهورى الصوت ، كما كان جدى الذى قهر الملوك

ودوخ العواهل ، ورمى بأعدائه الى التماسيح . . أكان يصلح هذا الأمر فى يدى ؟

سينوتم — (وقد برق الامل فى عينيه) لا عليك يامولاى ! انك لن تفعله جهرا ، بل لن تفعله ، ولكنه سينوتم (مؤكدا ويداه متشابكتان على صدره) سينوتم يتحمل جريرته من أجل انقاذ وطن بأسره ، وملك معبود ، ودين لا يكاد يثبت له ركن حتى يوشك ركن منه أن يتهدم وينهار . أما تجيز فقط ؟ ولو بمعنى فى عينيك ؟ إننا سنكف يده عن العمل ، ثم نبعث به معززا محملا بالهدايا والطيب الى مدينة خناعى ، وفى الطريق (يصنع حركة القتل بيده) وينتهى كل شىء ! أما ذلك المجنون أمازيس وانصاره فما أيسر ما يفارقون الحياة دون أن يشعر بهم أحد . انك يامولاى تضع نفرا من القتلة المهيجين فى كفة من الميزان مقابل كل شىء فى الكفة الأخرى ! !

تى — (فى حنان زائد) وهذه البنية العزيزة الطائشة نفرتيتى ! ؟ اشد ما أخشى السم الذى يجرعها الكاهن إياه فى الكلام ! ذلك الساحر الأشيب . . الوغد . . . الشيطان الذى أعاد شبابه بالعقاقير ليقتنص قلب ملكة ! !

الملك — (مخفيا وجهه فى غير تحمل) رباه . . رحماك . . .

تى — (تزيد فى ضغطها) أصغ إلى أنين الأسرى هناك . . . أصغ يا إخناتون ، وتخيل وجوههم الذليلة الممتقعة . تخيل اليتم الذى تركوه

وراءهم ... تخيل فظاعة الأوجاع التي يخلفها الوثاق المنكر . . . وتلك الجراح السوداء التي يتنزى منها الموت والذل . . . إن أوزيران يريد أن تسير الحياة إلى الأبد على هذه الوتيرة ! . . . أفيرضيك !؟

سينوتم — إذا أذن لى مولاى فأنى أذهب لأحضر ما جمعته من إحصاءات وتقارير . إنه منذ الساعة يجب أن نبدأ التحقيق . وليحضر معى أتيتى قاضى القضاة ليكون شاهد عدل على كل ما اعتمدت عليه فى ذلك من أدلة ومصادر

الملك — (وقد وهى تجلده) إذهبا . . . إذهبا . . . أنى لا أكاد أعتدل (يذهبان فلا يكادان يتواريان حتى يناجى نفسه)

أقضيت أيها السيد المنير فى علاك أن يعيش إخناتون فوق هذه الأرض غريباً عن جميع الناس ! حتى نفرتيتى رفيقة الصبا وملاك الروح ! بل هذه نفسى . . . نفسى توشك يارب الأرباب أن تنشطر شطرين ، وأنا أحس الساعة على ضيائك ونكهتك كأن خطيئة ضعفى هى التى تحولت فى نفسى إلى هذا المبدأ الجميل ، فما أزال بها موزعا إلى درجة الفناء فى محيط شاسع الجوانب ، مرير الصمت ، أنا وحيد . . إخناتون لا أخ له ، ولا زوجة ، ولا صديق ، إلا هذا القلب الذى تكمده الوحشة والغربة

تى — (تحتضنه وتشجعه) الحزم ياولدى ، الحزم ! إرع نفسك من المخاوف . وأشفق عليك من المرض . فما بهذا الحنان

الأمور تساس الدول . وإنى لأعهد فيك الجلد وقوة الاحتمال ... لستَ غريبا يا إخناتون فى شىء ، ولكن أعداءك الغرباء ، وسننكف عن الأرض أذاهم فى غير تهاون أو تواكل (تتسمع) انى لأسمع وقع أقدام هناك . . أقبل انرى . . إنهم قوم كثيرون . . . ما أكثر شهود هذه القضية !

(تتقدم الى حيث مضى سينوتم)

الملك — (وهو يتبعها) ينبغى أن نحقق أولا . . ونطيل التحقيق . . . يدى ترتجف . . . رباه ! لا أستطيع أن أغمسها فى الأذى ، ولو كانوا أعدائى ! (ذاهلا) نذهب أولا إلى هؤلاء الفتيان الأعزاء الذين غرروا بهم . . . هناك وراء المعبد . . يا للسخرية ! (مناديا أمه) خــذى ساعدى يا أماه . . إنى جد تعب . . تمنيت لو أننى لست موجوداً فى الجسد هذا . . كما قال آى !

ســـتار



الفصل الثالث

(غرفة بسيطة الرياش فى قصر الملك أخناتون تطل على حديقة وراءها النهر قد أقيم فيها «المنحت» . لهذه الغرفة شرفة جدارية مواجهة تتخللها اعمدة رائعة تمتد على طول الجدار وقد بدت عن بعد لمعات من صفحة النهر ، وظلال من اشجار النخيل وقفت وراءها المرتفعات صامدة . الوقت أوائل المساء والغرفة لها بابان متقابلان الى اليمين والى اليسار مضاءة بسراجين من البرنز موضوعين على قاعدتين متوسطتى الارتفاع من الخشب فى زاويتى الغرفة الاماميتين ، وهما على شكل رمز الحياة الفرعونى . فكل سراج له ذراعان يمسكان بوعاء من البرنز المذهب به فتيلة مضيئة . «الملكة نفرتيتى» متكئة الى حاجز الشرفة فى تاجها العريق ، وثوب أبيض مسبل يشف عن روحها العذرية ، وقلبها الشاعرى . فلا يبدو من وجهها الاسمر الجميل الا وضعه الجانبي الجذاب ، بينما «اوزيران» جالس فى وسط الغرفة تعلو وجهه كآبة الامر الذى يقوم به ، يمشى بازميل فى يده على وجه التمثال الذى يصنعه للملكة وقد شارف التمام . تسمع طوال الوقت فى فترات متقاربة ومتباعدة دقات طبول ، وموسيقى نائية ، وصرخات وهتافات ، ومواكب تمر وتندثر . كما ترى احيانا خلال الظلال الواضحة وراء الشرفة ، وفوق الربى مشاعل ذاهبة وآيبة ، ونيران تتوهج وتنطفىء .)

الملكة — (مستغرقة) مساء ... أى مساء ! لكأنه أول الأمسيات (يتنبه أوزيران من عمله) يا للشوق المزدوج ! وبعض نفسى هذا النسيم المائج ، يزيد وينقص كأنفاس المحب الخجول ، وبعض نفسى نفح ذلك الزهر المجهول المفتّح الذى أنضجه الظلام للشّغل . وبعضها تلك البسمات البعيدة الغور على شفاه النجوم . أية استجابة فوق الطاقة بين طبيعة بأسرها ، وانسان واحد ، إنسان محيّر ! (تلتفت الى اوزيران)

أجبنى أى أوزيران (يكف لحظة عن العمل ثم يعود اليه) أما تحس معى ذلك الانقلاب ؟ إننا الليلة فى شعور جديد ، فى عمر جديد. ننطلق إلى حرية بعيدة مفترّة ، بعد ابتئاس النفس فى الظهيرة ، وتراجع القلب المكظوم (تشير بيدها) استمع معى الى تلك الموسيقى المتواكبة هناك ، وصرخات الصحو والسرور ! إنها تشعرنى بعنف السعادة وانفعالها حين تنساب فى إنسان صغير محروم

أوزيران — (يتأملها لحظة) بالنسبة لى يامولاتى لا أصور هذا التصوير . إن شعورى بأى جمال جديد يزيد فى ألمى . وددت لو أغمضت عينى عن كل شيء فليست هناك استجابة مابينى وبين أية مادة ... الى أن ينمحى هذا العار المفروض ، ونستعيد باستكمال حريتنا كل تكافؤ بيننا وبين الحياة . أما أنت يا مولاتى فمطلقة من كل قيد ، كذلك الطائر الذى يقضى كل حياته فى دور الطفولة ! لشد ما أغبطك اليوم على هذا القلب الذى ينسى !؟

الملكة — (وهى تعود الى ذلك المنظر الساحر خارج الشرفة وتتنهد) اطمئن يا أوزيران . لقد ضاع الآن جمال المنظر ، واكتئاب الشعور الجديد ، وأصبحت معك فى تلك الآلام التى تحسها من هذا العار المفروض (تلتفت اليه فجأة) انى تعسة يا أوزيران . أيسرك ذلك ؟

أوزيران — يسرنى يامولاتى أن تذكرى دائما أنك ملكة !

الملكة — (كأنما تلقى درسا) ملكة على شعب كريم توطأ حدوده

اليوم بأقدام المعتدين . يغلون على أرضه ، ويدوسون ظلال عليه ، ويهتكون منـــه الستر المقدس ، ويمزقون الشعار المعبود .
(فى نغمة خاصة) انى لم أنس بعد ، يامعلمى العزيز ، ولكن . . . أما يحق لى أن أبتهج بدنو ساعة الانتصار الوطنى ؟ وهاهم المحاربون المتنكرون يدخلون المدينة أفواجا ... ليس لانتصار آتون غداً كما يتوهم البسطاء ، وإنما لانتصار غريمه !

أوزيران — إن أكثر ما يفسد الانتصار أن يجنى منه قبلما ينضج . مولاتى ! يجب أن نحفظ حتى آخر لحظة شعورنا المعنوى بالغضب ، والمكابدة ، والتضامن

الملكة — بكل ما فى وسعى يا أوزيران . . (شاردة) مسكين إخناتون ! لو علم أن نفريتى مرقت بسهولة كالآخرين من عقيدة إلى أخرى !

أوزيران — أنادمة أنت يامولاتى ؟

الملكة — (منكرة) كلا ! لست نادمة (مستدركة) ولكن . . . بهذه السرعة يتم تحولى ! لم أكن أتوقع ! أصدقنى القول ياأوزيران ! أكنت تصنع لى تمثالا للخلود . . أم كنت تصنعنى أنا على وفق ما تريد ؟

أوزيران — مولاتى ان الحجر لينطق عنى (يشير الى التمثال)

أنظرى إليه وقد أشعت فيه الروح الوطنى كله ، وأنهيت إليه خلاصة الفن ، كما أنهيت قلبى ! هذا العنق الفارع المشرئب .. وهذا الوجه الفاتن المتوهج ، وهذا التاج الكبير ، المثقل بالتبعات والقداسة ، التاج الذى تزيده السنون دائما عراقة ووطأة ! أيجرؤ أن يتطلع إلى هذا النفوذ الباهر الجميل رجل مستضعف ؟ كلا . . . انه ليذيع القوة ، ويغرى بالتكمل والسلطان (فى هدوء وتوقيع) لقد صنعت الحجر يا مولاتى على وفق ما أريد ! !

الملكة — (متألمة) انى أغار منه يا أوزيران !

أوزيران — تغارين ! . . ممن ! ؟

الملكة — من التمثال

أوزيران — وكيف ؟

الملكة — طردتنى ، وأوثقتنى الى حوائط الافق ، تهتبل الخواطر شغفى الزائد . بينما تحتضن أنت هذا الحجر الصامت ، على مبعدة منى كأنما أنت معه تضيئان كالسراج فى جوف المستقبل . توليه من الرعاية مالا تولى أحدا ، وتنهى اليه مالا أسمع ، وتعطيه من روحك أسرارا لا تنقطع ، فلا أرى منكما الا هذا الظل المجهد الرهيب كأنما أنتما ندان يقترعان !

أوزيران — اذا شئت يا مولاتى كففت عنه الساعة ، وخرجنا كشأننا الى حدائق القصر نتحدث .

الملكة — (فى وله مفاجىء) كلا يا أوزيران ! انى لأنشدك هكذا دائما . أود أن لا تنتهى من عملك أبدا

أوزيران — (عذرا) مولاتى ! هذه أمنسية خطيرة ، مليئة بالتصاحب ، قد يتحدث فيها الانسان بما لا يحب أن يذكر عنه غدا !

الملكة — (غير مبالية) عيونى منتشية متكسرة ، وجثمانى يضطرب بغبطة سارية مجنونة . . . وانى لأصبو أن أجد منك الليلة ماهو اسمى من عطف الاستاذ !!

(تتقدم نحوه مرتجفة وذراعاها مبسوطان)

أوزيران ! لقد التقينا هذا اللقاء المعجز حول كل شئون الحياة . . . الا هذا !!

(تقبله بسرعة وكلتا يديها على عارضيه)

أوزيران — (وهو يقف متجلدا جامد الشعور) مولاتى . . ارجعى الى مكانك . ان الشمس اذا اقتربت أكثر مما قدر لها ، مات عابدها محترقا .

الملكة — (محترقة) أنا لا أومن بالبعـــد ، لا أومن بالتبلد ، وبالشخوص فى مكان واحد هكذا الى الأبد . أوزيران ! قد روضت امرأة على اطلاق حريتها ، فلماذا تحذر أخيرا أن تجترفك معها هذه الحرية ؟

أوزيران — إن بيدى سوطا ألهبها به ، فتقف منى حيث أشاء

الملكة — (مروعة) أهكذا تخاطب الملكة (عائدة الى استغراقها) يالك من ظلوم يا أوزيران ! فى يدك سوط، ويدى فارغة !

أوزيران — ان السياط التى فى عينيك يامولاتى أشد إعتبادا للرجل مما فى يده ، وأفعل فى توجيه مصيره . انى ألتمس أن تعودى حيث كنت

الملكة — يالك من رجل قوى غامض !.. لست كباقى الرجال أرضاً مسطحة !

أوزيران — « فى ابتسامة متعبة » حقا يامولاتى . . لكأنى جبال منيعة شماء ، على قممها معابد ، وفى سفوحها معسكرات !

الملكة — (متهكمة معذبة) — وأى معبود بقى لك فى معابدك ؟ وأنت لا تؤمن بآتون ، وآمون قد سقطت كل تماثيله ؟

أوزيران — (وقد سرى عنه عذابها) الملكة معبود من لا معبود له . إنى أرى وطنى فى صبوته وآماله على وجهك هذا فيمتلىء فى قلبى فراغ كل الآلهة ، ويأخذنى إلهام زاخر كالفيضان .. تتدفق منه سيول المعجزات !

الملكة — (متشككة وقد هدأت) — متى أمس بيدى معجزة واحدة !؟

أوزيران — (وهو يهز رأسه فى معنى ويستأنف عمله) — عند ما تؤذن الصعاب بتجربة إيمانك !

(تسمع فى هذه اللحظة أبواق ويعلن خادم من الباب الأيمن اسم الملك . يدخل اخناتون. ومن خلفه الملكة الوالدة تى . واتيتى قاضى القضاة . وسينوتم كاهن آتون الأعظم)

الملكة — (دهشة) — هذا أنت يامولاى ! ؟

الملك — « فى تؤدة وأسى » نعم يانفريتى ، لقد قضينا أياما نحقق الأمركله فإذاك .. مذنبة !

الملكة — (مأخوذة) مذنبة .. (غير مصدقة) إخناتون !!!

الملك — (لاوزيران) اليوم فصل الخطاب . وغداً صباحا يا أوزيران نحتفل بعيدنا الدينى . وبقاؤك هنا أصبح غير مرغوب فيه ، فتأهب لترحل الليلة إلى خناعى ، حيث يجب أن تقضى فى سلام آخر أيامك !

أوزيران — (ناظرا للتمثال) حمدا لله يامولاى ! إننى فى هذه الساعة التى يعلن فيها رحيلى قد أتممت المهمة الجليلة التى ندبتنى من أجلها . وهاهو تمثال الملكة فى غلائل عرسه مهيأ لينقل فى الصباح المبكر الى المعبد ؛ أما أنا فذاهب الى خناعى راضيا غير اسوان ، اذا كانت هذه مرة أخرى مشيئة الملك !

الملك — قد نشكرك على عمل ان نقبله منك ، حين يحطم هذا التمثال على عينيك ، ليقوم فى مكانه تمثال آخر ، لم تكتب على

وتمائمه التمائم الخفية من صيغ السحر ، والتعاويذ التي يحذقها كهنة آمون !

الملكة — (ذاهلة وهى تندفع نحو التمثال) يحطم !! كيف يمكن أن يكون ذلك (مجهشة بالبكاء وهى تحتضنه) تمثالى الحبيب ! نفرتيتى ! أعزما أملك ! منذا الذى يحطمك؟ وقد نضج خلودك فى هذا الصمت والحسن والحجر ؟

أوزيران — أفى الأمر جريرة يامولاى ؟

الملك — (مستجوبا) وأى جريرة أيها السيد ! ألا تجيبنى ماذا يفعل ولدك الآن فى اخيتأتن ، فى عاصمة ملكى ؟

اوزيران — انه يعالج جنونه بالكلام . . . بكثرة الكلام

سينوتم — (متشـــددا على الكلمات) انه يعالج تدابيره ضد الدولة بالجنون . . بالاغراق فى الجنون !

الملك — ومن الذى أشاع الاسلحة فى قصرى ؟ وأغرى نبلاء بلاطى الفتيان على شهوة العراك ؟ ولفتهم عن صلواتى وتعاليمى ؟

اوزيران — يسألون فى ذلك يامولاى

الملك — ومن الذى يحاول افساد عقيـــدة الملكة ؟ وقد أشاع بسحره الاضطراب من قبل فى حياة وصيفاتها المطهرات ؟ أفما كان الأجدر أن أعلم انك ساحر ، وساحر سياسى خطر ، قد أعدت الشباب لنفسك لتجر الشيخوخة على ملكى ! ؟

أوزيران — (هادئا) مولاى ! قد أصغيت ، وهذه أمور يوجب أقلها القتل . فأعلن فى الوفود غدا انك تحاكمنى ، واقتلنى بذلك فانى ممتثل

تى — هذا تدبير آخر أيها السيد الجليل !

الملك — انى لا أقتلك ياأوزيران . ولكن اسرحك بمعروف.

أوزيران — أرى مولاى لا يغضب !

الملك — (مبتسما) اخناتون لا يغضب . اخناتون يكفر بهذا الرضى المنبسط عن كل صلف واستعلاء للملوك ، فى الماضى والمستقبل !

(الملكة تجهش على صدر التمثال فيلتفت اليها الملك)

ماتزالين فى البكاء يانفرتيتى (متأثرا) انى لا أطيق مشاهد المتألمين . لا أطيق الدموع والتأوهات ، أما من عالم للصفاء الذى لا يكدر ؟ (تستمر فى البكاء) ياالحظى العاثر ! انها ما تزال تبكى ، فكيف نستطيع أن نستقر على شىء . وننتهى الى غاية (يلتفت الى من حوله) الا تتركوننى اليها ساعة ؟ إن نفرتيتى المزدهرة الوديعة ما تزال فى صف الملك !

(يخرجون من الباب الايمن فيدنو من الملكة)

نفرتيتى . . زوجتى الصغيرة . . ماالذى يبكيك ؟ أيطيب لك أن يقوض السحرة عرشى ؟ أم هو تعلقك الطفولى بقطعة مسحورة مشئومة من الحجر !

الملكة — (فى دلال زوجى وصوت شقه البكاء) اقتلنى . . . اقتلنى أنا أيضا يااخناتون ! حيث قد بلغت بك كراهيتى فجأة ، نظير وشاية سافلة من سينوتم ، أن تحطم تمثالى ، وتطرد مخلد ذكراى ، وتلقبنى على ملأ من الناس بالمذنبة ! أنت تفعل كل هذا يااخناتون ، ويعلم الناس

عنك أنك أعف الملوك ، وأبر الازواج (تبكى ووجهها بين يديها) أى إلهى غفرانك أنت ان كنت حقيقة قد أذنبت

الملك — يعلم الله يانفرتيتى ، انى ما كنت اود أن يجرى شىء من هذا بيننا . ولكنى فتحت عينى فوجدت هذا الرجل يجد لهدم عقيدتى ، وإثارة الناس على الحرب ، وانتهاك حرمة الانسانية باسم امجاد فارغة ، وماض أمقته ان كان كما يصوره ، فاذا كنت تريدين ذلك وتُغرين به فهذا شىء آخر !

الملكة — (فى حرارة) بل مظلوم مكذوب عليه ! وانى لأنظر فلا أرى إلا الملك هو الذى ينكر العقيدة ، ويعلن الحرب . وهاهو علانية بين الناس قد أثارها على زوجته ! ألا فاعلم يا إخناتون ، يامولاى ، ان نفرتيتى تعرف تماما ماذا كان يفعل جداتها لو مررن بمثل هذه الاحداث !

الملك — « جزعا » تموتين !؟

الملكة — (مشيرة الى حدائق القصر) أناجى الافاعى المقدسة من جنبات هذه الحدائق فترتضع كلا ثديىّ !

الملك — وماذا أفعل من بعدك ؟

الملكة — عند ما أسير الى وادى الموتى ، ويتسلمنى أوزريس بكلتا يديه الرحيمتين ، ستعلم أن تمثالى هذا ينبغى أن تقدسه الأيدى

فلا تحطمه ، وأن تشعل أنت حواليه الشموع لتقرأ إلى جانبه كتاب الذكريات . . !

الملك — (فى شغف حزين) تمثالك يا نفرتيتى ! (يتقدم منه) ألا أراه ؟ أتعلمين أنى لم نظره حتى الساعة (متأملا التمثال) ياله من حدث فنى . . أهذا من صنع عدوى أو زيران ؟

الملكة — (تحول بينهما باكية) إلى هذا الحد تغيرت يا اخناتن ! فتريد بعد الحب المطلق أن تشمت بتمثالى قبل تحطيمه ؟ ما أسرع ما يفسد على هذه الأرض كل مبدأ جميل !

الملك — (مأخوذا) رحماك ! من قال إنى سأحطمه ؟ تأخذنى منه لمعة صافية من الخلود . . لست أنا عدو الفنون ! ابدا !!

« تتنحى عنه فيمرر يده عليه فى رفق وتدليل »

يا للحجر النابض ! نفرتيتى الأبدية تمر تحت أقدامها مقبلات العصور ! كيف يحطم هذا الجمال ؟ من اليد التى تفعل ؟ (مخاطباً التمثال) وجّـه إلىّ عينيك أيها التمثال ! وأشع فى نفسى سحرك الخالص من هذا الحدق الوهاج ! أبن بما أعى ! مرنى بهذا الذى تحول على شفتيك إلى صمت مؤله . . رباه ! ليس النضال قليلا من أجله !

الملكة — أنصت إلى صوت قلبك يا إخناتون ! يدان تبتدعان هذا الخلود ليستا مذنبتين !!

الملك — يدان تبتدعان هـــذه الأبدية حريّتان بالتقبيل .

(يقبل يد التمثال)

الملكة — (معاتبة) المذنبة ! ؟

الملك — كلا يانفرتيتى ! قد أخذتنى هذه الشكوك المساورة عن محبتى المطلقة ، وجمال الصفح ، وجمال الفن . إنى لأغار عليك يانفرتيتى ، فلا قدرة لى على الاطمئنان إلى شىء مما أنا فيه لو أحس لحظة واحدة أنك نائية عنى . حبى لك هو قاعدتى الوطيدة لكل حب آخر ، فمن غيرك تسقط تأملاتى العالية إلى ذلك الضرب البائس من لغو الأذهان ، وتنقلب صلواتى القدسية إلى حيرة ومذلة وانفعال ، وتصبح المواد ملء عينىّ ، وتطير عن قلبى هذه النكهة الآلهية التى تصافينى بالشعر وترققنى بالخيال ، فأثقل وأهوى ، وأرتطم بالأرض . أى عذاب يانفرتيتى ! وأنا لا أطلب أكثر من أن توجهى فكرك إلى ، وتشدى أزرى .

الملكة — (تأخذ يده بين يديها) كفى يا أخناتون . . . انك لتقطع نياط قلبى . اما تذكر ذلك اليوم البعيد الذى كان فوق مرتفعات خناعى ، حيث قلت إن مابك ليس الغيرة ! وهذا رجل من كبار رجال الدين ، ما يزال حتى اليوم قائما فى خدمتك وطاعتك .

الملك — هذا الساحر المديد يانفرتيتى ! وقد بلغ منك فى أيام

أكثر مما بلغت انا فى كل ذلك العهد المندثر . أما تنظرين إلى التمثال فتقرئى هذه الأسطر المتلألئة من قصة لانهاية لها . انه أخرج أجمل أسرارك وهو يطرق بازميله عابساً على الحجر . بينما أنا بصلواتى وأناشيدى و محبتى لم أبلغ منك ولا من نفسى أكثر من هذه الآلام والأوهام !

الملكة — (مستعطفة) إن التمثال لنا ياأخناتون . لى أنا وأنت. فقل انك تبقى على اوزيران ، وتنسى هذه الوشاية ! !

الملك — الرجل الذى يحذرنى منه العرافون ! الرجل الذى لا يرهب أن أغضب !

الملكة — بل هو ممتثل لك . . . خاضع لمشيئتك !

الملك — وكذلك أمازيس ؟

الملكة — وأى خشية لك من هذا الغلام المسكين ؟

الملك — أفلا أخشى الغدر ؟ أفلا أخشى الثورات ؟

الملكة — أمازيس ذلك المخبول التعس فى نضرة عمره ! انك تعطف عليه إن أحببت فتؤويه فى قصرك وترعى شبابه الممزق !

الملك — (مبتسما فى مضض) كلا يا نفرتيتى (يضع يده على منكبها) انى لأجمع الأفتين على حديقتى !

الملكة — (خائفة) إذن فستمضى على الوحى الذى جئت به

وتحطم تمثال السلام الذى قضيت العمر تصنعه يااخناتون !؟

الملك — كلا . . ساعفو . . سانسى . . ان ملكى ثابت ومن استبقيتهم من جنودى طائعون تواقون . و «أوسر كاف» قائد جيوشى الذى يرتعد العصاة من ذكره خابت فى ظلال آتون وظلال الملك ، لا أكاد القى اليه امرى حتى يخرج من صومعته فيعيد الخارجين الى الحظيرة (يبدو عليه الالم البالغ)

الملكة — (تمد على يديه فى جذل وحبور) شكرا لك يااخناتون ، لقد اعدت البهجة الى هذه الأخت المستضعفة فى قصرك وأخذت بيدها على حسادها من الكهنة الناقمين .

(تمد له فمها فيقبلها)

الملك — (مستعذبا قبلتها) نفرتيتى . . أوشك ان اندم على ماكان

الملكة — أخى .. اخناتون ! لا تندم ! ان مرارة الشقاق تنضج دائما فيما بيننا حلاوة العتاب !

الملك — حقاً يانفرتيتى ! أقبلى إذن نكفرْ عن هذه الخطيئة قبلما تتكرر . تعالىْ نصلى لنطرد اشباح الشكوك والآلام والمكائد. إلتصقى بى . دعينى ألمس فى جسدك خيال طمانينتى الضائعة . وأسمع فى صوتك ترنيم سلامى الطريد . وأشم من نفح ذراعيك وأحضانك أرج المستقبل الموعود ، كما اتمناه !

(تلتصق به محنية رأسها فى مودة ويخرجان من الباب الايمن - تدخل من نفس الباب بعد لحظة «تبو بواى» تطفر وتضحك ضحكتها الموسيقية الهزجة يتبعها أوسركاف ممسكا بيده قارورة من المرمر الشفاف ، كروية الشكل ، مليئة بالخمر ، وفى الاخرى كأسا من نفس المادة على شكل نورة اللوتس المزهرة - ضابط كبير ، عريض البناء ، مديد القامة ، حازم الملامح جهورى الصوت ، يتدلى من نطاقه المذهب سيفه الساحب على أذياله . اذا أشار بيديه أسفر من تحت عباءته ذراعاه العاريان المفتولان ، وقد زين عضداهما بدمالج من الذهب المرصع باللازورد)

تبوبواى — (متقدمة الى التمثال كأنما تتفحصه) اذن فهذا انت ياأوسركاف ، لست نائما فى الشمس كما يقولون !

اوسركاف — تبوبواى ! أيتها الاشراقة الفتاة ! لا تسأليني عن الشمس فى المساء .. انا فى هذا البدر الذى يطفر على الأرض .

تبوبواى — (متطلعة الى التمثال ساخرة) حقا !! . ترى أين كنت فى هذا الزحام حول الملك والملكة فى ذهابهما الآن للصلاة ، فانى لا أراك الا ظهرت فجأة ، كالأفعوان الحارس !

اوسركاف — اترينني ظهرت الا فى أجمل المناسبات ؟ طرقاتى فى ظلام الأروقة ، أجنحتها الخفاشية تحملنى كالقدر المترصد إلى كل مكان ! أطوف دواما بالقصر ، اسمع الناس ولا يسمعنى احد (مشيرا الى القارورة) حانتى فى يدى (يدنو منها) لا اخرج الى النور الا ان ارى النديم !

تبوبواى — (وهى تدور فى مواربة حول التمثال) صه .. دعنى فى سكون أتأمل هذا التمثال البديع الذى تنفح منه القصص !

أوسركاف — (يضحك ويسكب خمراً) دماء أوزيريس الصهباء ، أحالتها شمس الصيف إلى لون الذهب ! دماء الآلهة ! ! ياللحنطة المقدسة المغروسة للمحبين من قبل التاريخ !

(يفرغ كأسه في جوفه)

يرتطم في دمي هذا الدم ، فيصطرع في جسدي الآلهة والرجال . وإني لأتضاعف وأتضاعف ! الساعة فقط ! أحفل بما كان هذا قبل اليوم ، منذ تلك الأجيال . ياللأرض الصغيرة من أوسركاف البطل حين يخرج عن حدوده الموضوعة !

تبوبواي — (مناجية التمثال) هذا التاج الراسخ على رأس فارغة ! (تلتفت إلى أوسركاف خلسة) وهذا العنق الجميل الممتد لاجتلاء الأزاهير ! وهذا الفم المسكر المغلق يمتلىء منه الصمت بالنجوى التي لا تنقطع ! أحرام أن يفقد هنا رجل حاضره وماضيه ؟

أوسركاف — (مقترباً منها وهو يملأ كأساً) أصغي إلى أيتها الفتاة ، يجب أن تتكلمي هنا في شأن آخر ، فإني لا أحب أن تضعي وجهك هكذا في وجه حجر وتسترسلي في الهذيان !

تبوبواي — (تلتفت إليه هازئة به) أيها القائد العظيم ! أأنت على ثقة من أني لا أفعل مثل ذلك إذا أنا وضعت وجهي في وجهك ؟

أوسركاف — (ضاحكاً في جذل) أتنالين مني أنت أيضاً ، أيتها العابثة

الصغيرة (ينظر الى كأسه وقد شاع سروره بنفسه) الجميع يتوقعون من أوسركاف أن يكف عن الخمر ، وينشر ذراعه من جديد على ميادين البطولة . ولكن أوسركاف لا يأبه لشيء ، كأنما طابت له الحياة ، أليست هذه هي الرغبة الملكية ؟ (يعود اليها ببعض الهيام) تبوبواى ! انى أحمل خمرى فى يدى ، وأجلس إلى ظلال الحسان . أفلا يروقك هذا ؟ اعلمى انى مازلت صاحب الوقائع والانتصارات . وإنها لمعركة معركة سواء كانت الوطن أو المرأة . . . الحرب أم الحب ! طالما أرفع بيدى الأعلام والكؤوس فى الميدانين ، على طاعة الملك ومشيئته !

(يشرب الكأس دفعة واحدة)

تبوبواى — اذن فتأهب أيها الجندى المغرم ، الى لون ذريع من الفشل !

أوسركاف — (هازئا بدوره) معك أنت ؟ وأنا لا أحفل بامتلاك أرضك إلا اجتيازاً منها إلى معركة كبرى ، حول حصون وأسوار . . أنت أنت أيتها المناوشة الصبيانية ، التى لا تجرد فيها إلا الخناجر !!

تبوبواى — خفف من غلوائك . ان معارك الحب ليست لك يا أوسركاف . إنها للشعراء . وان الملك لو اختار لمعاركه العاطفية قائداً أعظم ، ما كان ليختارك أنت ، أيها الغليظ !!

أوسركاف — ألآن شاعراً تصبب فيك فطرد من القصر تزعمين ذلك ؟

تبوبواى — (متخيلة الماضى) مسكين سيتى الرقيق العظيم ، طالما كان ينقش على الصخور فى كل مكان (تبوبواى حديقة لانهاية لها) !

أوسركاف — كذب سيتى الهائم على وجهه . ما أنت إلا منتجع صغير من زهور الأحراج ، هائجة النبت ، لاذعة المذاق ، يأخذ الانسان آخر حدودك بنظرة واحدة عن عرض

تبوبواى — اذن فمالك وشأنى أيها السيد ، تظل عاكفاً الليل والنهار على حفيف هذا النعل المذهب ، وتزعم اننى بدر يطفر

اوسركاف — آه للشقيـــــة ! (يملأ كأسا ويقدمه) اشربى معى ياتبوبواى من هذا الرحيق ، حتى نلتقى على شىء ! من قال لك انى لا أصبو إلى اللذع ، ولا أهيم بالهياج . انك لتستهوينى على هذا الخاق المشهّى ومابك إلا عصارة حرّيفة ، وضميمة خادعة على صدرك من زهور البنفسج (يتقدم نحوها مشغوفا فى بعض ثمل)

تبوبواى — (متراجعة) إرجع عنى أيها البطل الذى شربت عبقريته الخمر ، واحتضنت بطولته النساء . انى أراك لا تتورع أن تخدش أسماع العذارى ولست إلا جندياً كسر سيفه !

اوسركاف — هذا الفم الرتّل ، ينطق بدر السباب (متعقبا تراجعها)

إلىَّ ياتبوبواى فأنى عزمت أن أنتصر !

تبوبواى — (مخادعة) مكانك يا اوسركاف ! ما هكـذا تفوز بى ، إن هناك لفارسين مغوارين يحميان النبتة اللاذعة ، يحملان السيوف ، ويكران على الخصوم ، فان قدرت عليهما . . . !!

أوسركاف — (متوقفا فى مكانه هازئا) من الغلامان تحت هذا الـكاهل ! ؟

تبوبواى — « نخت » المنتصر ، و « منا » العريق

اوسركاف — (فى سخرية الجبارين) ياللجدى وصاحبه ، ترفقى بالخيال ياصاحبتى . . . . . من . . . . نخت ومنا ، وباقى النبلاء الذين جردتهم أول أمس من عصيهم فى حديقة المعبد ، ثم قمت إلى نخت هـذا فعركت اذنه ، وركلت مناكِ ركلة غرسته فى طرف الحديقة البعيد ، وضربت ذلك الثرثار آى على أم رأسه ضربة كادت تورده موارد الحتوف !

تبوبواى — (صارخة فى وجهه) اوسركاف !

اوسركاف — (باستجابة وحنو) سيدتى . . . !!

تبوبواى — (بنفس اللهجة) انت مخمور !

(تفر من وجهه من الباب الايمن فيحاول أوسركاف اللحاق بها مردداً)

يا للشقية ، يا للعابثة ، يا للنبتة البنفسجية اللاذعة

(يدخل سينوتم من الباب الذى خرجت منه تبوبواى)

سينوتم — (وعلى وجهه غضب مكتوم وارتياع) هكذا يا اوسركاف ، ما تزال مندفعاً فى النساء والشراب ، ونحن فى أشـــد الحاجة إلى صحوك !

اوسركاف — من . . سينوتم . . سينوتم ! لقد أتيت الحانة فى غير موعدك أيها الـكاهن (يشرب كاسه) ولـكنك تستطيع أن تشرب كأساً فى اعتبار العفو

سينوتم — (فى ملاينة) ألا تصغى لحظة يا اوسركاف ! إن الأخطار تحيط بنـا الساعة من كل جانب . الملك يوشك أن يفقد عرشه ، وأنت توشك معنا أن تفقد هذا العنق الغليظ الذى تتطلع إليه سيوف الرعاع .

اوسركاف — (يملأ كاساً) أتهزل أم تجد يا رجل ؟

سينوتم — أجد كل الجد

اوسركاف — ماذا تطلب منى إذن ، بعد هذا الزمان الطويل الذى فقدت فيه عملى . انى أعلم ان هذا العرش لا يثل هكذا بسهولة . وأن عنقك . . . عنقك أنت على الأقل أمنع من أن تتطاول إليه مدى القتلة . وانى لا أرى فى مصر اليوم أسيافا تقطع العنق ، أو تعلن الثورة ، إلا أن تـكونوا تحرزتم فى أحد السراديب ببقية من هذه البدعة ! ! صل للسلام أيها السيد سينوتم ، واسكت (يشرب كأسه)

سينوتم — بل هي مدججة الليلة بالسيوف أيها القائد العظيم (مشيراً الى النافذة) أنصت إلى صليلها هناك ، أنصت !

اوسركاف — (منصتا) اذن فليست هذه أعراس السلام، ولا أفراح الشعب بعيد الغد (يملأ كأسا) أي انذار حاسم للفصل بين عقيدتين (ينظر فى كأسه) يادماء اوزريس الصهباء ، مرة أخرى ، لقد آن أن نستبدل بك غداً دماء المئات من أوشاب اختياتون !

سينوتم — أما ترى الوقت قد حان للاتفاق على عمل حازم ؟

اوسركاف — انى أذكر اننا تحدثنا فى ذلك يا سينوتم . . . منذ آلاف السنين !؟

سينوتم — (قلقا) أيها القائد !

اوسركاف — (متحمسا) وشهد هذا بيننا ذلك الراقد العظيم فى رمال منفيس . . . أبو الهول . . . أبو التاريخ . . وانى لأذكر يومذاك يا سينوتم انه عبس فى وجهى ، وابتسم لك . . هكذا ! (مبتسما فى وجه ابتسامة مروعة)

سينوتم — (منفجرا) ألا تجد لحظة يااوسركاف ، والأخطار محدقة ، والملكة قد احتضنت الثورة نازلة عن عرش زوجها للكاهن الطريد ، والملك قد سلّم فى اللحظة التى أوشكنا أن ننتصر فيها ببقاء كل شيء على حاله (بحدة) ألا تفهم ما يعنيه هذا ؟ انه يعنى ان آلاف الجنود المرتزقة والشبان العاطلين المسلحين سيحاصرون القصر

غداً ، ويوجهون رماحهم وتروسهم إلى مداخل المدينة يسدونها فى وجه الامدادات حتى يبلغوا من الملك ما يشاءون بالاغتيال أو الارهاب . أما أمثالك وأمثالى فلا منجاة لهم من التعذيب والقتل إلا أن نعتصم الساعة بحكمة التدبير فتعطى الدولة بطولتك وأعطيها حيلتى .

اوسركاف — (واضعا يده على منكبه) أيها الرجل ، انى الليلة شديد البغاء . حدثنى كثيراً فيما ذكرت (منتهيا) إملأ عباراتك الملونة بكلمات السيوف والرماح ، والقتل والدم ، حتى اعدل بين شطرى نفسى المتفاوتين . قل لى ماذا اعتزمت أن تفعل ؟ ما خطتك ؟ ما تدبيرك ؟ ما بقية القصة التى بدأتها معى عن ذلك الكاهن وذلك المجنون وأولئك العصاة . أذع للذى تأتمنه الساعة على العرش والدولة ماسر هذه الخطوط الزرقاء تحت عينيك ؟ وفحوى الليالى الغائرة فى هاتين البؤرتين المحدقتين ؟ ومغزى ما على جبينك المنطفىء المخدد ؟ قل . . تكلم ! انى مرهف الاصغاء اليك !

سينوتم — لقد قر قرارنا على تدبير واحد تنقذ به كل شىء .

اوسركاف — (صارخا) قرار من ؟

سينوتم — قرارى وقرار والدة الملك

اوسركاف — (هادئا فجأة) حسناً . . . وماذا بعد ذلك ؟

سينوتم — بقى أن نستوثق من يدك . وانى أحدثك الآن غير مابيننا من الود الشخصى حديثاً خاصاً باسم نى العظيمة !

اوسركاف — حسنا . . . وماذا بعد ذلك ؟

سينوتم — غداً ينتصر الملك لدينه ، وننتصر نحن للملك

اوسركاف — كيف ، أتجرون الدماء فى حفلة الدين؟

سينوتم — أمهل . ان لدينا أكثر من مائة أسير من ضحايا الحرب القائمة رغب الملك أن نعنى بهم ، ونقدمهم إليه غدا أمام وفود الأقاليم فيعفو عنهم ويمنحهم جنسية المصريين قربانا لربه . هؤلاء الأسرى لن يقدموا غدا للملك !

اوسركاف — ماذا تفعلون بهم ؟

سينوتم — انهم سيثورون فى موعد الاحتفال فيقتلون حراسهم ، ويتجهون صوب الملك الجالس على عرشه ، بين الأمراء والأشراف وأعيان الوفود بغية قتله ، وفى طريقهم ستمس سيوفهم رءوس اوزيران وراموزا ونخت وحار محاب والآخرين من عناصر الفتنة فى القصر ، فلا يكاد يتم ذلك حتى يكون « رمس » قد طوق هؤلاء الأسرى بجنوده وأفناهم عن بكرة أبيهم ، وتكون أنت قد تأهبت للأمر فتحاصر المدينة بكل فرق الجيش وتضرب بلا رحمة كل فتنة تقوم ، ثم تلقى إليها بأشد كتائبك فتتعقب أمازيس أيا وجد ثم نرفع الحصار ويعود الهدوء كما كان

اوسركاف — لك الله ياسينوتم ! انها لوليمة فاخرة تخرجون بها

عن كل خرق للدين (يجرع كأسه) ولـكن كيف بلغتم هذه الغاية المحكمة من هؤلاء الأسرى المنعم عليهم !؟

سينوتم — عذّبوا ثم أدخل فى روعهم ان هـذا التدبير انما هو وسيلتهم الوحيدة لاطلاق سراحهم . عندما أقرع القرص النحاسى الموضوع إلى جانب الملك سيثبون كالأسود الجائعة إلى مهمتهم !

اوسركاف — فاذا مس سيف طائش فيما مس رأس الملك ؟

سينوتم (يخفى اضطرابه) اننا سنحذر

اوسركاف — فاذا غلب الحذر

سينوتم — تـكون هذه ارادة الله

أوسركاف — (بمنى) وهل ستغامر بولدك فى المعمعة . . . لشد ما أخشى على المسكين ؟

سينوتم — (متجلدا وقد برز معنى فى عينه) كلا . . . ان كاموس فتى مطواع ياأوسركاف . . وقد نحتاج إليه فى أمر

اوسركاف — (مبتسماله) أظننى فهمت الآن ، ولا حاجة بى إلى المزيد !

سينوتم — (فى ذلة مفاجئة) أوسركاف ! لماذا نراوغ معا ! أليس الأوفق أن نـكون أكثر ثقة ؟ اننى سأهبك لقاء المساعدة فيما أطمع إليه أكثر مما سبق ان وعدتك به ، وهذا حديث خاص فيما بينى وبينك

اوسركاف —(فى لهجة الطامع) وَىْ ! لقد ذقت مائدتك ياسينوتم ،

وانها والله لشهية فاخرة منوعة . ولكنى رجل أطلب المزيد ، فلا تكاد تصرع شبقى إلى الآن أية رغبة مجابة !

سينوتم — (وقد تغير صوته) لقد ملأت دنانك بالخمر ، وخزائنك بالنضار . وإن مخدعك لا يخلو من عطر امرأة تتجدد . ولكنى سأفعل أكثر مما فعلت . !

اوسركاف — وأى جديد عند الكاهن الأعظم لحساب هذا الجندى الفاسد ؟

سينوتم — (هامسا متلطفا) حينما ابلغ ذلك الذى اصبو اليه ، وأحصيت من أجله النجوم ، سأقطعك من الملك أشهى ما فى الملك . سأجرى لك نهرا من الخمر ، وأشيد لك قصرا من المرمر ، واسوق اليك الحسن مفضض الأذيال ، رخص الخطى . سأجعل بينك وبين حر هذا العالم وضوضائه سدا لا ينفذ منه الشقاء ولا الفقر . فكر . فكر فى كل هذا يااوسركاف ، وفى انى اعطى دائما كل ماأعد .

اوسركاف — (ساخرا) انا أفكر . يالك من غر أشيب ، وابلغ مايكون الانسان جهلا حينما يزعم أنه يفكر ويتعقل . اليك يارجل ، انى اجيبك الى كل ماتدبر (يرفع الكأس فى يده) فليمت اخناتون اذن ، وليمت خلفاؤه ، وليحى سينوتم وولده . منذا الذى يرفض الجنة من شيطان لطيف مثلك يا سينوتم ؟ (يجرع الكأس)

سينوتم — (ضاغطا كفيه النحيلتين فى حبور يستعبده الكتمان) لو كنت

تعلم كم أحب ولدى (دانيامنه وهو يهمس) ان الجياد مسرجة مستعدة ، اعنتها فى ايدى الخدم ، على خطوات من الباب الخلفى ، بعد حوض السباحة . وقد سبقتك التعليمات الى كل مراكز الجيش المرابط بين طيبة واخيتاتن . وقبل الفجر يجب أن يتم كل تأهب .. كل شيء يجب أن يكون على ما يرام . . (ساخرا) هل احمل هذا النبأ السار الى الملكة تى ؟

اوسركاف — (متباهيا) احمله اليها ! واحمله اليك واحمله الى كل الوجود (يدفعه بيديه) ! تقدم ! فسأذهب على آثارك من مكان لا يعلم به أحد . ولكن لتحاذر على رأسك الليلة ، ورأس ولدك فان عليهما لى وحدى تاجين كبيرين من الأمانى !

سينوتم — (مقبلا رداء اوسركاف وقد بلغ اقصى الغرفة) شـــكرا لك يا اوسركاف ، ياذخر الزمان !

اوسركاف — (مايزال يدفعه) تقدم .. تقدم ياسينوتم . لقد أيقظت البطل النائم فى هذا المخمور ! وانى لأخشى أن تفقدنى النشوات حسابى هذه الســـاعة فابطش بك ، ظنا منى انك أحد الأعداء !

سينوتم — «متجهما» كلا لا تبطش اليوم (فى همس) وابطش غداً

(يخرج ويعود اوسركاف يذرع الغرفة مرسلا همهمة غريبة)

اوسركاف — (لنفسه) نهر من الخمر ، قصر من المرمر ، غيد حسان ! يالفيضان الخصيب المحدق ؛ حول جزيرة قاحلة اسمها اوسركاف ! (ينظر الى القارورة) ويل الرجل ، لقدسقانى نصف الحانة فى منادمة غيرساحرة . (عائدا الى نفسه) إن جسمى الساعة يدب فيه دبيب الغيب ، فلأمض من فورى إلى مرابط الجياد ، فلعله قد حان الوقت لكى أظهر فى هذه البطولة التى تحبها تبوبواى !

(يخرج من الباب الأيسر ويغلقه ـ يدخل من الباب الأيمن اوزيران وراموزا ونخت ومنا وآى وحارعارب وتبوبواى ، يتجه اوزيران ناحية التمثال وتنتحى تبوبواى فى مكان)

أوزيران — لاينبغى أن يطول اجتماعنا هكذا !

راموزا — قد كسبنا انتصارا مؤقتا ، يجب أن نعبر على هذا الخيط الدقيق

نخت — القصر حولنا مأخوذ مروع

آي — الأنفاس فى المدينة شواظ

منا — محمومة ، ملتهبة ، هائجة

اوزيران — (منحنيا يصلح ما حول التمثال ويجمع أدوات النحت) دعوهم يعلموا انه الابتهاج الحار بالعيد ، وحينما تأتى الساعة . .

آى — نضع أيدينا على قبضات سيوفنا التى انتزعوها

اوزيران — (منهمكا فى عمله) واحذروا المفاجآت .. المفاجآت..

حتى يحضر امازيس بجيشه ضاربا الحصار حول القصر

راموزا — فاذاما بلغ ذلك من الملك الأثر المنشود ؟

اوزيران — تقدمنا بالتسوية العادلة فعقدنا ألوية الحرب لقواد الامدادات ، وبعثنا بامازيس إلى الشمال

راموزا — فاذا أطبق على المحاصرين جيش أو سركاف ؟

تبوبواى — أكاد أجزم بأن اوسركاف هذا يخفى أمراً جللا !!

اوزيران — ان نصف الجيش معنا ، وأما النصف الآخر فسيكفيه خطابى فى احتفال الغد عن حقيقة الحرب والسلام لكى ينضم الينا

حارمحاب — تحت إمرتى مائتان من أشجع حراس الملك

اوزيران — اننا سنعمل بالسرعة التى لن تحتاج معها إلى قتال

آى — وددت لو نلقاهم الساعة !

راموزا — إنهم يدبرون لكم التدابير فاتئداوا وتجلدوا

اوزيران — (يحتضن التمثال) ساعدونى على نقله إلى المكان الآخر ، حتى يستقبل أشعة القمر طول هذه الليلة ، قبل رحيله فى الفجر إلى المعبد . . .

(يساعده نخت ومنا وآى على نقله الى الجهة اليمنى)

تبوبواى تقف خلف الملكة فلا تفارق مكانها منها مهما حدث ،

تقف مفتوحة العينين ، وسينجدها الرجال عند أول إشارة .

تبوبواى — سأتلقى عنها كل كريهة . انى سأقوم بواجبى .

اوزيران — (متقدما الى السراجين ليطفئهما) هل وثقتم من خروج الرسول الذى جاء من أمازيس هذا المساء ؟

حارمحاب — خرج سالما ، وابلغ كلماتك اليه

اوزيران — (وقد ساد الظلام) شكراً لله . . تفرقوا الآن فى سلام . . . فكروا فى الغد ولا تتكلموا . . . وإذا تغير شىء فى مجرى الحوادث فتصرفوا بحكمة متحدة . . . تفرقوا ، وابتهلوا الى الله ان يكون انقاذ مصر على أيديكم !

(يخرجون متفرقين ويسمع صوت اغلاق البابين . تمضى لحظة ... القمر يعلو فى قبة السماء ملقيا بأنواره الفضية الشاحبة على أرض الغرفة غامراً وجه التمثال . يزداد وضوح المشاعل الحمراء المضطربة على مدى الأفق بين قرع الطبول الخافت والصرخات المبددة — يسمع صوت حركة مترددة ضعيفة فى الباب الأيمن — يدخل الملك فى أثوابه الرسمية التى كان بها سائرا فى خطوات حائرة كأنما يرتاد المكان لاول مرة)

الملك — (متعثرا فى أشعة القمر) فى هذه الساعة ، والجميع نيام ، والقمر مشرق رهيب ، أسعى برغمى إلى هذا المكان الذى ساءتنى فيه الحياة مرتين ، ماثلة فى نفرتيتى حبيبتى مرة ، وفى اوزيران عدوى مرة أخرى !

انى لأتقدم ولكنى لا أرى شيئا . ترى أين هذا التمثال الذى أحب أن أنظر أله فى الظلام ذلك السحر الذى كان له

فى النور (يمد ذراعيه باحثا) ؛ رباه . . لقد ذهب . . اختفى ! ترى أيجوس مشــــلى فى القصر ؟ يا للتمثال الملعون المسحور ! (يتلفت فيعثر به) آه انه هنا ، فى ذلك الركن ، يبسم لأشعة السماء ، بل لعله يسخر منى ! أفيقى ياعينىّ ، وتنبهى لكل شبح مارق ، لا تخدعينى بمرئيات كاذبة (يتقدم للتمثال ويتلمسه) نفرتيتى ! حبيبتى ! مالك لا تتحدثين ؟ إنك شاعرة ، وتمثالك شاعر . . فأى شيطان عاشق حملك من مكانك إلى هذا المسرح البديع لأشعة القمر ؟

يارباه ! هنا يكمل السحر ، وتصنع الآلهة الشريرة من نسج هذا الساهر فى السماوات شباكا تجذب بها الملكة الحسناء ، فتحارب هذه العقيدة الناصعة التى تعلن انتصارها غداً كما يعلن القمر تمامه هذه الليلة . نعم يا إلهى ، هذه لآلهة الباغية المعادية هى التى حملتها إلى هذا المكان ، فليت آذانى تكبر وتكبر حتى أحصى ألفاظ النميمة التى تسرها اليها . (مضطربا) نفرتيتى !. لا تسمعى ! لا تعى شيئا مما يقولون ! انى أعرف ، ولكنى عفوت من أجل عينيك الساحرتين ، ومقبّلك الرطيب ! يا للحجر الذى يبسم ثانية ! كأنه يتحدانى ، واضعا كلتا قدميه الجامدتين على جمال الماضى وقداسته (مصغيا فى خوف) ويحى ! انى لأسمع على القصر النائم خطى مسلحة ! أأنا فى حلم مسحور ؟ أم أنا فى هذيان أسود ؟ ان حقيقتى التى تعرفت عليها منذ ولدت توشك أن تتلاشى فى هذا الغموض الفاجع (مقلبا كفيه) رباه ! ما الذى جاء بى إلى هنا

بعد منتصف الليل ؟ ألكى أشهد الحقائق الرهيبة التى تنير الشحوب والسكون ؟ أكاد أجن . وأنفاسى تتواثب و تتقارب . ويتصاعد دمى الذى أبردته الرحمة منـــذ ولدت لأغضب الساعة فقط ! (مكفهرا حزينا وهو يواجــه التمثال) نفرتيتى ! نفرتيتى .. أيتها الساحرة الصامتة ! لا يسخر تمثالك منى بعد اليوم فانى ماجئت الا لأحطمه الساعة قبل انتقاله إلى المعبد ! وانى لقاتل اوزيران وامازيس فى مخدعهما قبل شروق الغد ! اواه ، لماذا لا تجرب القتل تلك اليد التى تكتب الشعر ؟ سنقتلهما فى مخدعهما قتلة حنان فلا يتألمان . وسنرى بعد ذلك أيتها الحسناء أتقطف الاحداث لونك ، و تفتقد البهجة بسمتك ، وتموتين ، أم تعودين لأحضان زوجك الدموى الذى تقمص روح ضحاياه (يلتفت عن التمثال متكفئا ناحية الجدار الأيسر) ياأرباه ! لقد جننت ، وجن معى اخناتون ولا ريب (كأنما يخوض فى وحل) ما لقدمى تسوخان كأنما أغوص بهما فى مستنقع من الدماء ؟ ياللسحرة ! انهم يقيدوننى . وهذه رؤى خانقة . ركام من المذبوحين ، هياكل مبعثرة ، أشلاء جنود . إنى أسقط بين ذراعين مفتوحين ، وهاهى ابتسامة الموت البيضاء تسبح وتتراقص فيما حولى . لقد بلغت حدود الاغماء ! (يستند الى الجدار فى اعياء) لم يبق لى من هذا الملك العريض إلا أن أنشد الاستقرار والأمن على مقعـــد

صغير بقرب الحائط ! (يتداعى على أحد المقاعد المنخفضة) الرحمة للمحب الذي لا وصل له ، والعابد الذي اكتنفته الظلمات ! !

(ينكس رأسه على ذراعيه وقد شملته الغيبوبة — تمضى لحظة — يفتح الباب الأيمن مرة أخرى فى رفق وتدخل نفرتيتى متسللة فى ثياب المساء البيضاء وتاجها على رأسها . تحدد بصرها فى الغرفة فترى اخناتون فى نهايتها . تتقدم نحوه فى خطى مترددة ووجه حائر حالم)

الملكة — (لنفسها) حمداً لله . انه هنا أخيراً ، وقد كلت قدماى من السير فى القصر الساكن ، أهيم كالروح الشريد بحثاً عن الذى تفقدته فى المخدع . يالله ماذا جاء هنا يفعل ؟ انى لأراه جالساً هنالك ، مسلماً رأسه إلى كفيه ، وكأنه يبكى . سحقا لك يا نفرتيتى ! يا صاحبة القلب المتحجر ! ليس ثمة فرق بينك وبين هذا التمثال ! ولكن لتغفر المحبة الطفولية القديمة ، ولتصفح الذكريات التى تذكيها الأوصاب . فلقد جئت لأرد الشىء إلى صاحبه . وأعيد نفسى إلى الذى وضع على فمى أول قبلة ، وجعلنى أخته وزوجته وحبيبته ، وساهرنى ليالى حبه الوجيع المعذب (تتلفت حواليها) . وداعا اذن يا اوزيران ! وداعا تلك الامسيات الخطيرة المليئة بالتصاحب ! وداعا ذلك التفتح المشبوب ! وداعا قداسة القوة ! انى بحاجة إلى الألم . . . إلى انكسار التضحية . . . إلى التوجع والانصهار بين عاطفتين صارمتين (تتأمل الملك) لشد ما أنا قاسية جافية يا اخناتون ! قضيت تلك الليالى والأيام سعيدة طليقة موفقة . أتعرف على الصفو

فى كل الوجود . أنثم النجمات الزاهرة . وأبلغ فى هبوة النسمة الخفية إلى إغماءة الصبا فيما وراء الحياة . . قبلما تنبع فى قلبى من جديد تلك النبعة الحانية التى تسيل من شبه مادتها الدموع !

(تقف عن كثب منه وتمد يدها اليه)

اخناتون . . . اخناتون ! أفق إلى . . ما الذى جاء بك الى هنا فى هذه الساعة ؟

الملك — (محلقا وهو يفيق فيراها امامه) يارباه ! ماذا أرى؟ من الذى يبعث إلى قلبى فى هذا الظلام بهذه النظرات الحانية المكذوبة ؟ يالله ! ما يزال المكان مليئا بالسحر . أأنت أيها التمثال المروع ! نفرتيتى المتحجرة ! منذا الذى أشاع فى صخرتك الدماء ؟ وأضفى على اهابك الحياة ؟ وبعث بك من ذلك الركن النائى فى الغرفة ، لتقفى على رأسى ساعة الاغماء ، متشفية تملين الرعب ! ؟

الملكة — (مضطربة نصف باكية) اخناتون . . انى سعيت اليك . .

الملك — (بائسا) إنى أعلم . أعلم أن قسمى أن اقتل الرجل قد روعك . لشد ما اخشى أنك كنت تعقدين على رأسى منذ لحظة تاجا من السحر ، وأنا أرى أن الكاهن هو الذى يحرك الساعة فى كل مكان ، بينما نفرتيتى الحقيقية المسكينة نائمة فى مخدعها تحلم به !

الملكة — (منكرة) اخناتون ! إنها أنا نفرتيتى . . كيف ظننت !!

الملك — لاتخدعى ! إنها نبرة فى صوتك غريبة جامدة . أواه ... لن أقتل أوزيران الذى تخشين عليه ، ولن أقتل أمازيس ! ولن أحطمك قبلما يحملونك إلى المعبد (ملتمسا) بالله عليـــك انظرى . . أيستطيع أن يقتـل من لا يستطيع أن ينهض ! ماذا عليك أيتها المسحورة لو تركتنى فى سلام وعدت إلى مجثمك المنير بقرب النافذة !

الملـكة — (ملتاعة) يا رباه ! خطاى متعثرة كلها . وآمالى تتحطم . وتأخذنى حيرة ثكلى ! !

الملك — أية خطى وآمال لك تتحطم ؟ أتسمعين دوى الطبول ! أتبصرين رءوس المشاعل !

الملـكة — (منهنهة فى كفيها) إلى أى وجه أتطلع ؟ وأية منجاة لى من هذا الظلام ! ؟ (تنتحب) من الذى جمعنا فى هذا المكان ؟

الملك — ياللهول ! أتبـكين حقاً ، أيتها القطعة الجامدة من الحجر . ؟ أم تدفنين فى كفيك قهقهة أليمة ضد هذا العاجز المخبول ؟

الملـكة — (منفجرة فى البكاء) تزيد فى بؤسى ! !

الملك — (فى آخر درجات الاحتمال) اذهبى بالله ! أى خشية لك منى . وقد أمليت رغباتك وأمانيك . تصلبى . . . تحجرى ثانية ! فان الحياة والموت لايجتمعان هكذا إلا أسالا الرعب فى الأوصال .

أي رجـل يستطيع أن يتماسك أمامك فى هذه الصورة يانفرتيتى وأنت تؤدين امامى كل فروض الحياة تمويها وتهـكما . ألا رفقا .. إن وجودى يكاد يتلاشى . وكلما دنوت منى ، وهبت على أنفاسك العطرة ، كأنمـا أنت حقيقة جزء من الواقع . . ويلاه .. لايواتينى التعبير . . يلم بى العجز من كل مكان ، فرحماك ان كنت تسمعين ! (يمد ذراعيه) اذهبى عنى حتى أرى مكانك الصبح . : اذهبى حتى أرى ذلك الوجه الحقيقى المعبود !

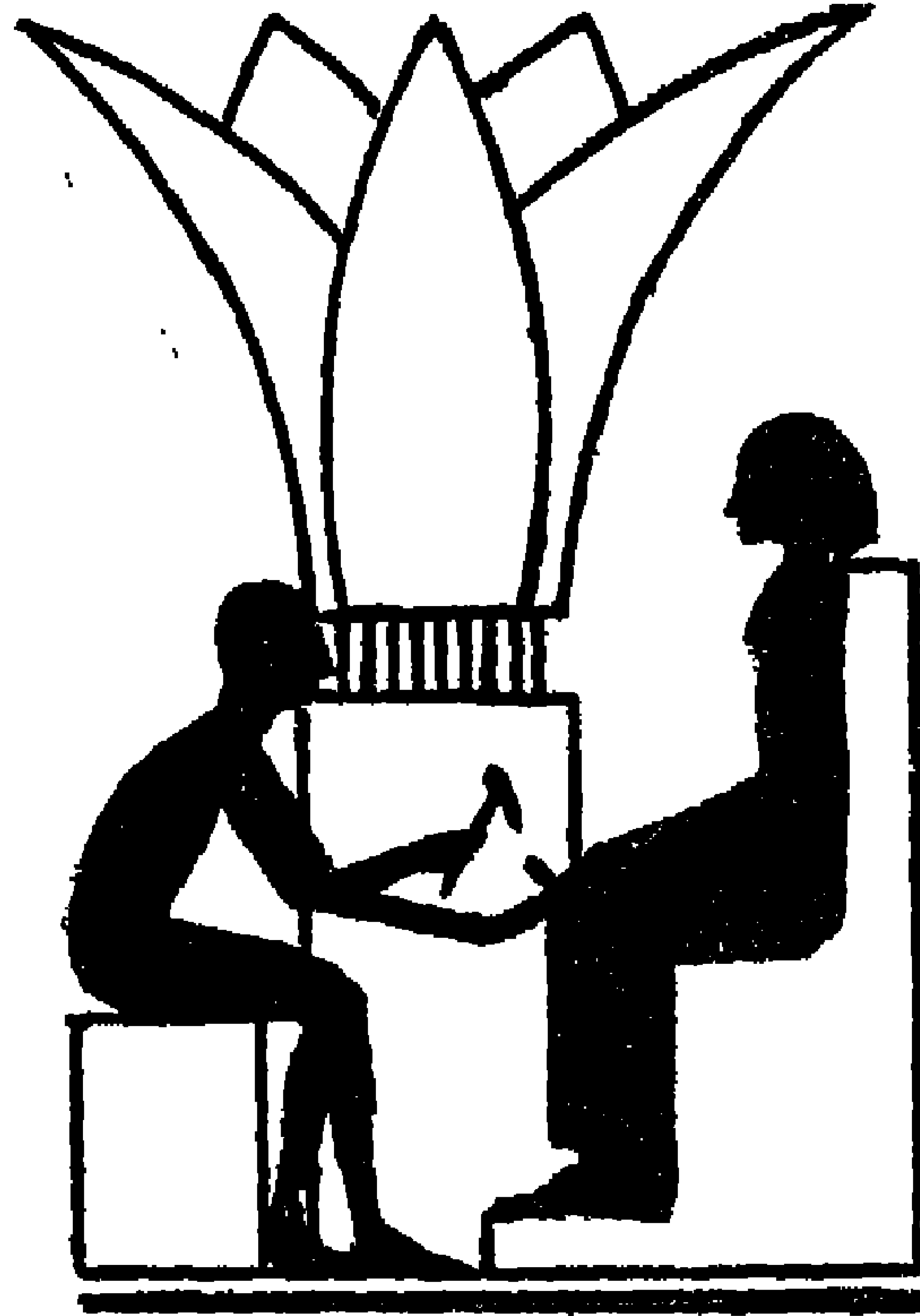
(يلقى برأسه على ذراعيه كما كان ويسود الصمت)

الملـكة — (متراجعة ، حزينة ، ذاهلة) ويلاه ! أية أحداث ألمت بى وبه ! إن ماينوجع له الآن يأخذنى مثله إرهاق ملح . أكاد لا أتبين مواقع خطاى ! . أأنا أعيش فى هذه اللحظة ؟ أم أستعيد حلما قديما ، مسرفا فى القدم والوحشة . . قبل هـذه الحياة ؟ من لى بالثبات على شيء ؟ صخرة ثابتة كانت تحت قدمى وغارت إلى ابعاد سحيقة ! يداى عاجزتان عن الضرب فى هـذا المحيط المتلاطم ! لك الله يا اخناتون ! باعدت بينى وبينك بقساوة لا عهد لى بهـا منك . نزعت النقاب الذى كنت أتجه به اليك فأسفر عن عاشقة تنتفض . (مغرورقة العينين) وارحمتاه لك يانفرتيتى ، مضيعة أنت بين الرجلين . خيال لك متعلق باجنحة الشاعر ، وانسان منك هائم على اقدام

المحارب !! نعم ليس إلى السلام طريق ، وإنما إلى الحرب! أواه! ....
إن الحب الذى استغرقنى يقودنى إلى التطرف فى الوطنية

(تضع وجهها بين كفيها)

ستـــــار



الفصل الرابع

المنظر الأول

(قاعة الاحتفالات بقصر الملك . إلى اليمين درج هابط يقود الى الحديقة فالباب الرئيسى الخارجى . على كثب منه باب صغير اسدلت عليه استار حمراء . الى اليسار أبواب مغلقة متجاورة . فى صدر القاعة عرش الملك يحف به ثلاثة مقاعد . وعلى يمينه قرص من البرنز على قاعدة من الخشب معلق به مضرب كروى من نفس المادة ـــ الى الجانب الأيمن مقاعد اعدت لرجال البلاط من غير الأسرة المالكة والى الجانب الأيسر مقاعد المدعوين من أشراف الأقاليم وحكامها وأعيانها ـــ القاعة فى ابهى زينتها احتفالا بعيد السلام ـــ الوقت بعد الشروق بقليل . أصوات الجماهير الغفيرة خارج أبواب القصر تختلط بالموسيقى التى تصدح فى الابهاء المجاورة للقاعة ـــ العاصمة اخيتاتن فى جو احتفالها العظيم . يدخل نخت ومنا منفعلين)

منا ـــ حمداً لله قد تمت المراسيم الدينية على خير

نخت ـــ بقيت المراسيم المدنية ياصاح . أرأيت رجال أمازيس كيف كانوا يملأون كل مكان ؟

منا ـــ أرأيت العيون المضيئة بالهوى والاستبسال من خلال إعصار التمجيد !

نخت ـــ أرأيت القسى والجعب ، والسيوف والمزاريق ، والخوذ التى اسبغوا عليها القلانس فأصبحت رءوسهم كالتمر المكفن !

منا ـــ أما تسمع ! ان هديرهم ليتزايد !

نخت — إن دمدمة الجماهير المتدافعة توقظ حوالينا عبقرية هذا الشرير سينوتم ! ترى ماذا أعد لنا الرجل من مفاجآت وتدابير ؟ انه فى ظنى سيقتحم قبل أن يضطر الى أن يدافع

منا — لعله سيضرب كثيرا بسيف أو سركاف !

نخت — ما الى هذا جرى خاطرى يامنا ! انى لا أخشى غير مفاجآت الاغتيال

منا — وهل بقى لديه من رجل واحد يعتمد عليه يانخت

نخت — انتظر ماسوف تتمخض عنه اللحظات التالية الخطيرة ، انها ستلد المستقبل !!

(يدخل حارمحاب مندفعا)

حارمحاب — أى نجاح لقيه تمثال الملكة اليوم فى المعبد ! الجمهور . . . النساء . . حتى الكهنة أحالوا سمعهم إلى بصر ، وحدقوا إلى المرمر الوسيم فى استغراق غريب . لكأنه كان اليوم تمثال اليقظة !

نخت — لقد كانوا يستوحونه حقيقة الاحداث المقبلة !

حارمحاب — (باسما) أرأيتم أمازيس فى تنكره كعازف على البوق ؟

منا — سوف يخلع تنكره عما قليل حينما يضع البوق على فمه

حارمحاب — ما أشد عناء اليوم ، ولم يمض غير جزئه اللطيف !

نخت — بل جزؤه الخشن ياحارمحاب . . هاهم اللطاف الظراف مقبلون !

(يدخل بعض المدعوين ، يتلقاهم حارمحاب فيقدمون له بطاقات صغيرة من الخشب يضعها بعد مراجعتها فى سلة على منضدة منخفضة فى جانب من الغرفة)

حارمحاب — تفضل هنا أيها السيد . . . هنا . . وهنا

نخت — (متجها الى مقاعد اليمين ومصطحبا منا) اجلس بنا يامنا نتزود من الراحة ، ودعنا نتأمل القادمين

(يجلسان بينما يقف حارمحاب فى خدمة الوافدين — يدخل عملاق ضخم الجثة ، ذو لحية مستديرة سوداء ، أطلق سيفه وراء أقدامه ، وارسل على منكبيه العريضين عباءة مزركشة وهو يسير فى خيلاء كبار الحكام الاقليميين . يدخل على آثاره عدد من حكام الاقاليم)

نخت — (الى منا مشيرا الى العملاق) يالسخرية القدر . . . هاك يا « منا » شبيوليشوما ملك الحيثيين جاء يحضر احتفال ملك مصر غير متنكر . أنظر ! أما تنطبق كل أوصافه عليه (الى حار محاب ساخرا) أيها السيد قدم المقعد إلى صاحب الجلالة . . . شبيوليشوما ! ملك الخيتاس المحاربين !

(يتردد اسم شبيوليشوما بين الحاضرين)

الرجل — (ينظر شزرا ناحية نخت) من الغلام الذى يثرثر هناك ،

وينكر مصريتنا (مخرجا نصف سيفه من غمده) أمعه سيف كهذا يلق به السيد اسخرنوس ابرس ماى حاكم دندره !

حار محاب — (ملاطفا بعدان قرابطاته) تذكر أيها السيد أنك هنا فى قصر فرعون . تقدم .. تقدم . . هاك المقعد قريبامن أنظار الملك

اسخرنوس — أما سمعت أيها الضابط ؟ شبيوليثوما العدو اللدود ، الذى أسقط ميثانى ، وطرد الجنود المصرية من مساحة واسعة . شبيوليثوما !! . . . ياإلهى !

(يجلس على مقعد فى الصف الامامى فى الجانب الايسرويعاود النظر الشزر الى نخت)

نخت — (ساخرا) معذرة أيها السيد اسخرنوس ابرس ماى

اسخرنوس — لامعذرة . . . لوكنا فى غير هذا المكان !

(يداعب سيفهمهدداً — يدخل رجلان اقليميان احدهما سمين راسخ والآخر نحيلمترنح)

السمين — أرى رياشا واثاثا ، ومقاعد ومساند ، وأقواما بعباءات مذهبة ، وخصور ممنطقة ، ورءوس كرءوس البغال ! وهاهى أرض ممهدة ملساء ، يفوح من ارجائها الطيب . وسقوف مزينة مصورة ، وجدران منقوشة زاهية . ولكن أنا كل هذه الأشياء . مامعنى كلمة حفلة . إذا كنا لانتشمم فى هذا القصر أية دلالة على الطعام !

النحيل — آه يا صاحبى ، إننا أخطأنا طريق المطبخ !

نخت — (مومئا الى اسخرنوس) حذار أن تتحدث عن الطعام فى الحفلات أيها السيد . إنك هنا بين الحكام لاتجد إلا الذى يأكلك

(اسخرنوس يعاود التهديد بقلقه على مقعده ومراودته لمقبض سيفه . يدخل رجل صغير الجسم ذو شعر مستعار مشعث ، يحمل فى يمينه ورقة بردية كالانبوبة تزيد على طول قامته)

أحد الجالسين — مرحى مرحى ! أومينى المؤرخ ، ما هذا الذى بيمينك ؟

أومينى — (من بعيد) — صه ياحابو ، صه يا دادف ، صه يا أعيان اخيتاتن . . . أنتم جميعاً . . هذا ما لم تلده أم . . هذا نثر . . هذا شعر هذا خطاب تاريخى خالد سألقيه اليوم على مسامع الملك !

(يصل به حاريحاب الى مقعده ولكنه لايجلس ويمد حابو يده للورقة فيتراجع فزعا)

لا لا لا لا . . . حذار المزاح ياحابو !

دادف — أقسم لكم برأس الحكيم بتاح انى أعرف ما بهذه الوثيقة !

الآخرون — ماذا بها ! ؟

دادف — (يقف كأنما يخطب محاكيا اومينى) مولاى . . . مولاتى . . أيها الأمراء والأشراف والكهنة . . ماذا جئنا نفعل اليوم . . . إننا جئنا نحتفل بعيد السلام . . . حسناً . . احتفلوا . . . احتفلوا ما شئتم ، ولكن يجب أن نحل أنفسنا قبل كل شىء من

وصايا الملوك الأقدمين ! ؟ (يتلفت حواليه ليرى تأثير كلماته)

حابو — (واقفا) بل هكذا سيهتف .. أيها السادة ! كتب ملك مصرى على قاعدة تمثال له عند الحدود يقول « أنا الملك ، وماأقوله أفعله ، وخليفتى الذى يهمل الحد ليس بولدى ، وقد نصبت تمثالى هذا على تخمى الذى عينته ، ليس لرغبتى أن تعبدوه ، بل لكى تحاربوا من أجله »

(يصيح بعض الموجودين متحمسين ويعود دادف إلى محاكاة اومينى)

دادف - (مستأنفا) نعم .. احتفلوا .. احتفلوا ماشئتم ... ولكن اعلموا أن هناك بطلا اسمه « أمازيس » يجب أن نصغى إليه !

حابو — وهنايا أيها السادة يأمر الملك بقطع رأس المؤرخ !!

(يضحكون ويجلس دادف وحابو)

أومينى — (متجها اليهم فى لهجة جدية) كذب ! كذب ! ان حماستى أشدمن هذا ، ولكن بهذه البردية وقائع أعظم وأروع !

اسخرنوس — (متسائلا وهو يميل برأسه عجبا) ترى ماذا جمعت ببردتك هذه أيها السيد ؟ هل تحدثت فيها عن المستقبل ؟

السمين — (فى سخرية ورثاء) — كل شىء بها ياسيدى... إلا الطعام الجيد ! انظر لقد خرج هذا العالم من أحد طرفيها كما تخرج اليرقة الجافة !

النحيل — إنهم يتحدثون هنا عن الدفاع ولا أراهم يذكرون

الهجوم ، ان الشعب الجاد لا يقيم الافراح إذا ضاقت به الأرض ولكنه يتخطى حدوده ويستعمر .

أومينى — (ملوحا بيديه) صه . . صه أيها الرجال . انى لم أجمع فى هذه البردية أكثر من وقائع تحوتمس الثالث ، لم أجمع أكثر من حدود امبراطورية ، لم أجمع أكثر من القصائد التى تغنى بها شعراؤه الفرحون ! . وهاكم التماس لفرعون أن يشيد معبدا على ضفاف النيل لتدفن فيه هذه الوقائع ، ثم يعود الشعراء والمغنون فيؤبنوا المجد ويؤبنوا الانتصار (محلقا بعينيه وقد شمله مزيج من الخوف والسرور) هذا أيها الرجال.. هذا هو اقتراح أومينى ، وهذه هى برديته (ينشر الورقة بين ذراعيه بصعوبة) هل أقرأ لكم وقائع الامبراطور ؟ — هل أقرأ لكم وقائع الفاتح !

(يدخل اوسركاف وسينوتم ورمس جميعهم . فى ملابس كهنوتية سوداء وقد انطوى اوسركاف فى هذه الملابس كأنما يشمرانه فى زى تنسكى)

أوسركاف — (ساخراً وقد سمع عبارة اومينى) كلا لا تقرأ أيها السيد ان فرعون يحتفل اليوم بعيد السلام (يتقدم نحوه فى زهو) اعطنى هذه الأكاذيب . اعطنى رفات الوحوش !

أومينى — (مضطربا) انى أقسمت أن لا أسلمها إلا للملك

أوسركاف — (متهكما) ولكنك لم تقسم أن تموت بيدى (ينتزعها

يبدو، ثم يلتفت الى المجتمعين) أيها السادة ! لقد ارتدى الضباط شعار الكهنة كما ترون . فعليكم أن تضعوا الآن سيوفكم ، فهذا منكم هو قربان السلام الأخير .

(يخرج المتآمرون نصف سيوفهم من أغمادها فى دهشة وتوقع)

أيها السادة ! هذه هى رغبة فرعون . وقد استصدر بها سينوتم أمراً ملكيا . وما كنت أحسب أن ذهنه بارع فى شئون السلام إلى هذا الحد (ينظر الى سينوتم نظرة غامضة)

السمين — (متهكما) ولكن أين هذه السيوف المزعومة أيها السيد ؟ لقد أكلنا أمتعتنا كلها من الجوع ، كما يفعل السحرة ، فى مثل هذا الحفل الجنائزى الحزين !

أوسركاف — حقاً أيها السادة . فى هذا الحفل الجنائزى ستشيعون الحرب . إننا سنضع سيوفكم ومطامعكم ونزواتكم فى زورق ذهبى . وفى هذا الزورق سيعبر جثمان الحرب من أحضان هذا الشاطىء الذى يظله سلام النخيل إلى مرسى ذلك العالم البعيد المجهول الذى يعيش فيه أوزوريس ، كأى ملك طاغية يموت !

(يدخل جنديان يحملان زورقا موشيا بتصاوير الذهب ويضعانه عند موطىء أقدام الملك وينصرفان)

لقد أصدقتكم القول أيها السادة ، وهذا هو الزورق فانزعوا سيوفكم . إنه تقليد جديد لابأس به . هيا يارمس !

(يتقدم رمس من المجتمعين)

اسخرنوس — (واقفا فى ضجر) ولكن هذه مفاجأة خطيرة يا أوسركاف ؟

دادف — (واقفا بدوره) هل ينبغى أن نقاتل عن حقوقنا فى هذا المكان ؟

حابو — (دون أن يقف) إنه لا يسوؤنى أكثر من أن نموت هنا قبل أن نرى الملك !

النحيل — (من أقصى القاعة) لماذا هذه الثرثرة ! ضعوا سيوفكم أيها الأبطال فهذه هى الوليمة التى ستأكل فيها الدولة رجالها !

أوسركاف — إنى أراكم تلوحون بجهالة لا قبل لكم بها. وهذا مقام للطاعة فأطيعوا من غير تردد .

حارمحاب — (فى حركة بارعة) أيها الأشراف ! إنى وأنا ضابط فى الحرس سأسلم سيفى ، فافعلوا ذلك معى !

(يسلم سيفه لرمس فيضمه فى الزورق)

سينوتم — (ساخرا) هذه شجاعة تغبط عليها ياحارمحاب !

حارمحاب — إن تسليم سيفى لن يكون أول مظاهرها يا سينوتم !

إسخرنوس — إذن فلنسلم سيوفنا أيها الاخوان .

نخت — (الى منا) إن مجرى الحوادث يتغير بسرعة ، ويصبح مشوقا للغاية .

منا — (ذاهلا) هذه براعة فائقة لم نكن نتصورها !

رمس — تقدموا . . تقدموا . . إنى أراكم مسلحين جميعا ، وأخشى أن يغوص هذا الزورق الصغير بهداياكم !

(يسلم المحتفلون سيوفهم ، وتدخل بقية الوفود ـ ينتحى اوسركاف ناحية بسينوتم)

اوسركاف — (باسما له وهو يهمس) لقد زينت القاعة زينة رائعة يا سينوتم واحكمت تدابيرك !

سينوتم — (مضطربا) كيف لا أفعل يا أوسركاف وهذا أول أعياد الانسانية !

اوسركاف — حقا !! العيد الذى يضحى فيه ملك وملكة فى سن الشباب . . . على مذبح كاهن عجوز !

سينوتم — (متلفتا فى ذعر) صه . . لماذا تتحدث هكذا الآن ؟

اوسركاف — وما عليك أن تتملى من موكب الملك فى آخر سعيه اليك ! إنك لن تجد وقتا بعد ذلك للذة التأمل (يضع يده الثقيلة على منكبه) لا ترتعد ياصاحبى من هول ما تصنع (يشير الى الباب القريب من العرش) انظر ! انى أراك وضعت على هذا الباب ستاراً أحمر !

سينوتم — إنه الباب الذى سيدخل منه القضاء والقدر الى هذه القاعة !

اوسركاف — فلتهنك العبقرية يا سينوتم . لقد اخترته بحيث يتلقى فرعون الآمن أول التحيات من هذا القضاء والقدر !!!

سينوتم — إن بريق عينيك يخيفنى يا أوسركاف !

اوسركاف — أحقاذلك ؟ إن الساعة تدنو بسرعة يا سينوتم . وانى ماتركت الجيش وجئت الساعة الا لأسر اليك بأمر خطير !

سينوتم — إننى بين يديك

اوسركاف — انها مسألة تتعلق بفتاة صغيرة . . فتاة حمقاء ستحضر هذا الحفل !

سينوتم — انها « تبوبواى » . . أليس كذلك ؟

اوسركاف — هى بعينها . الزنبقة الضاحكة ! كيف عرفت ؟

سينوتم — سأنقذها لك يا أوسركاف ! سآخذها بين ذراعىّ وأنا أقرع القرص (اشدهما) إن الأسرى لن يتركوا من الموجودين إلا رجلا واحدا ! هل تعرفه !؟

أوسركاف — (مقهقها وقد نسى حذره) نعم .. نعم .. الرجل الذى يقرع القرص (يهمس) ترى متى تبدأ المعركة ؟

سينوتم — (قلقا) عند ما يلقى أوزيران كلمته . لقد سمعت اليه الملكة بهـــذه الكلمة إلى حتفه . ولكن ألا تذهب الآن يا أوسركاف !

اوسركاف — حقا حقا ... ان رجالى يفتقدوننى الآن ! اذن فالى اللقاء ... !

سينوتم — (مذكرا) ان كل شىء الآن رهن شجاعتك !

اوسركاف — (مومئا الى المجتمعين) لقد تركتهم بين يديك كالأنعام (متذكرا بقسوة) حذار أن تنسى !

سينوتم — (باسما) الزنبقة ! !

اوسركاف — (وهو يهم بالسير) إنها تساوى العالم ... وتساوى رأسك أيضا !

سينوتم — (ضاحكا) انى أعلم .. أيها العربيد !

(ينطلق أوسركاف متأبطا ورقة اومينى ويتقدم سينوتم من رمس الذى انتهت مهمته وقد خفتت الضجة)

رمس — هل بقيت أوامر أخرى ؟

سينوتم — (منتعشا) نعم نعم ... نريد أن تكون للموسيقى فى هذا اليوم نغمات بهيجة أكثر من ذلك ؟

نخت — (مشيرا الى الزورق) أيها الكاهن..أصغ الى مزمار الشاعر

« عند ما يجرى على صفحة الخلود هذا الزورق الميت

« ستتيقظ على جوانبه السيوف النائمة ، و تدب فيها الحياة

« و يصبح تصليلها أنغام .. أروع من الحان العيد

(ضجة خافتة وارتياح من المجتمعين)

سينوتم — (فى نظرة صاعقة) ان ملاح هذ الزورق لن يكون إلا شاعراً مثلك يانخت !

نخت — ان الكاهن الأعظم أدرى بمسالك الطريق إلى اوزوريس ! !

اسخرنوس — (متعجبا) يالله . . . لقد بدأت أشعر بفراغ يدى !

منا — استردوا سيوفكم أيها السادة . . . انها جميلة فى أيديكم مثل الحياة (يقف الموجودون فى اندفاع)

سينوتم — (فى قلق) أيضلكم فتى هالك كهذا المتآمر (يسمع بوق الملك فيرفع يديه كالغريق) أيها السادة ! لقد جاء الملكُ !

(يدخل اخناتون مصفراً مجهداً متهالكا والى جانبه نفرتيتى شاحبة ذاهلة ومن حولهما تى وأتيى وراموزا وأوزيران وآى (وسمنخكرع وتوت عنخ فى يديهما أعلام الملك) ثم الوصيفات كاويت وتبوبواى وسيتاتن . يجلس الملك بعد تحيته والىجانبه تى وتجلس نفرتيتى والى جانبها أتيى . بينما يقف سمنخنكرخ وتوت عنخ بالأعلام ، وتحتاط الوصيفات بمقعد الملكة ويتجهأوزيرانوراموزا الى مقاعد رجال البلاط مع نخت ومنا . وينتحىرمسواقفافى المكانالمقابللسينوتم ويشير الملك الىالمجتمعينفيجلسون . يقف راموزا ليلقى كلمةالافتتاح)

راموزا — باسم المحبة التى ازدهرت فى أجسامنا من أشعة الشمس ، باسم فرعون وعقائده يُفتتح هذا الحفل السعيد ابتهاجا بانتصار الحق ، وعلو كلمة الله (يجلس)

سينوتم — (بين يدى الملك) مولاى ! لقد ماتت الحرب (مشيراً الى الاسلحة فى الزورق) وها هى اشلاؤها تحت قدميك (ملتفتا نحو الموجودين) أيها السادة فليحي السلام !

الموجودون — فلتعل كلمة الله !

أوزيران — (واقفا) مولاى . . إننى باسم الكهنة ورجال العلم والفن أقول هذه الكلمة بمناسبة العيد الأول للسلام، حيث انتشرت تعاليم المحبة من سفوح المعابد إلى كل مكان

مولاى . . اليوم وضع الجيش سلاحه ، وماتت مهنة الحرب ، وحمل كل مواطن على صدره شارة واحدة هى شارة السلام ، ولكن أبصارى تمتد فى هذه الساعة وا أسفاه إلى ماوراء هذه الحدود الصغيرة الموضوعة فأرى فى مقابل هذا الذى نحتفل به فى « أخيتاتن » ملكا يُنتهب ، وحضارة تتقلص ، ودماء تسيل . . .

(حركتا احتجاج من سينوتم والملكة تى ، ويقف أتيى العجوز مضطربا ثم يجلس)

مولاى . . . إن مصر لا يعنيها من كل ماتحتفل به إلا أن تعرف معرفة باهرة أن هذا الذى اتخذته من دون آلهتها إلها ينضج الحصاد ، ويجرى النهر ، ويقشع الظلمة لايرتضى أن تنتهك حدودها باسمه ، وتُرد حضارتها ، ويثور على نفوذ ملوكها عجاف من الرعاة مايزالون يلوحون كالاشباح فى ظلمة القارة التى يعيشون بها

(يبدو على وجه الملك القلق والشحوب ، وتتعلق أنفاس الموجودين)

سينوتم — (فى صوت مرتجف) ماهذا . . . ماهذا !؟

أوزيران — (مستأنفا) مولاى . . . إننا إذا لم نجد مايدفعنا إلى نشر حضارتنا ، وبث عقائدنا كان علينا أن نتقبل حضارة الآخرين

وأن نؤمن بعقائدهم ، وندين لملوكهم ، وليس فينا من رجل واحد يستطيع أن يفعل ذلك ، وفى دمه عصارة متحدة من هذا النهر الخصيب الذى شربناه !

سينوتم — (رافعا ذراعيه) كفى . . كفى أيها المجنون !

أوزيران — (غير آبه) السلام ! . . أى سلام يامولاى على هذه الأرض المتقدة ؟ إن الآلهة لتتناحر فى وادى الأبدية . والموتى مايزالون فى صمتهم الخالد يحاربون لينتصروا على معنى العدم المطبق . وإنى لأنظر فلا أرى الخلد إلا نوراً دائما من قبسات الانتصار ، ولا أرى الانتصار إلا الثمرة العذبة فى شجرة الكفاح والحياة .

والحب ! . . أى حب يامولاى على هذه الأرض المموهة ؟ كل صور الحياة حب ! النشوة والجنون ، والحزن والغضب ، والانتقام والعفو ، والصبر والانحلال . إن الشعوب المتحاربة يامولاى إنما هى فى حالة حب أيضا . إنها تلتحم التحاما جسديا غريزيا لتنتج مولوداً لازما للعالم هو الحضارة . فاذا كانت هذه الحضارة القديمة التى أولدتها حروب أجدادنا قد بلغت حدود الشيخوخة فنحن اليوم إذ نعلن الحرب من جديد إنما نريد أن نهب العالم الذى نحبه حضارة أخرى جديدة ناصعة الشباب ! السلام والحب ليسا فى النهاية إلا خلاصة حارة لكفاح دائم .

هذا يامولاى ماعرفته ، وما أردت أن أقوله . فاذا كان كهنتك يريدون أن تعيش الأمم على دم شعبك المسفوك، وأعلامه الممزقة، فأنا قد عقدنا النية ، وأكدنا العزم . . .

سينوتم — (منفجرا) على أى شىء عقدت النية أيها الساحر ؟

(يصنع حركة غريبة من الذهول)

أوزيران — على إمداد جبهة القتال بالمحاربين ، وإعلان الحرب على الدولة المعتدية . . . فى هذا اليوم !

سينوتم — كيف أباحت لك الجسارة أن تقول ذلك فى حضرة الملك ؟

أوزيران — إنى قلته . . . لأنى أخذت من بينكم عهداً أن أقوله وأنا آمن .

سينوتم — ألى هذا الحد تظن رحمة الملك تتسع للعصيان ؟

أوزيران — (ساخرا) حذار ! لا تقل هذا أيها الكاهن الجليل . . . إن الملكة نفرتيتى ترى معى هذا الرأى !

(الوجوم يستغرق الجميع — الملك ينظر فى بطء الى نفرتيتى)

سينوتم — (فى ذعر) يا إلهى . . . الملكة . . . أتجسر على هذا أيضاً ؟ (متجها اليها) مولاتى . . . كلمة واحدة منك تقضى على هذا المتآمر . . . قولى انه جعلك تحت تأثير السحر ! !

(تتجه الأنظار الى الملكة فيأخذها اضطراب مرهق ، وتلتقى عيناها بعينى أوزيران)

الملكة — (فى صوت خافت وصدرها يعلو ويهبط) أوزيران !!

أوزيران — مولاتى ! إن الوطن كله يصغى إلى كلماتك

(الملكة تقف ثم تجثو فى انكسار أمام الملك وهى ممسكة بكلتا يديه)

الملكة — مولاى ! إنى سأتكلم

(الملك يهم قليلا وهى ممسكة به ليمنعها عن ركوعها ثم يجلس)

الملكة — (وقد غلب عليها التأثر وهى تواجه المجتمعين) أيها النبلاء والأشراف ، أنتم ياقلوب الشعب ! إذا كانت الظروف الأليمة قد قضت أن أقف هذا الموقف فانى أتوسل إلى الآلهة جميعها أن تحفظ لسانى ، وتصون خواطرى ، وأن تكون ربة العدل والحقيقة نصيرتى ، فى هذه اللحظات التى تتطلعون فيها إلى ملكة تدلى برأيها فى قضية سبق أن أعلن فيها زوجها الملك رأيه القاطع الذى لا ينقض . . . إنى بحكم هذه اليد التى أمسكت بها ذراع زوجى ليصحبنى معه تلك الصحبة الأبدية فى رحلة الحياة ورياضة الموت لا أستطيع أن أحس بقلبى غير ما يحسه ، أو أحب بعينىّ غير مايحبه ، أو أنطق بفمى مالا يمكن فى معرفتى أن تتلفظ به شفتاه . ولكنى . . . ولكنى من أجل هذا الدم القديم الذى يشركنا فيه وقر التاج ، من أجل سعادة الملك وسلامته قبل كل شىء ، وأنا أعلم أن طامعين كثيرين يتربصون لسلالته وعرشه (تنظر الى سينوتم) وناصحين كثيرين تلدهم هـذه اللحظات القاسيه لألهاب الخلاف ، وإضرام الفتنة ! . . . إنى من أجل ذلك ، ومن أجل ما أحسه من

شعور الحب العميق ، والامتزاج المتزايد بهذا الشعب الذى يحب مليكه ، ويقدس عرشه أبحت لنفسى فى حديث لى مع السيد أوزيران أيام كنت أجلس إليه لينحت تمثالى الذى رأيتموه اليوم فى المعبد أن أرى رأيه من أن كتائب الجيوش الظافرة هى التى تمهد وحدها طريق السلام ... على شدة حزنى أن أتوهم أن هذا بطريقة ما قد لا يكون حسن الوقع لدى اخناتن الجالس على العرش أخى ومعبودى ومولاى . وتعلم الآلهة أنى ما قصدت بتوجيه رأيى هذه الوجهة إلا درءاً لانقسام متهيء ، وتفاديا لثورات محققة ، وتقربا لحلم فرعون المنشود ، الرفاهية والسلام . . . وإن أحدا لا يستطيع الآن تقدير ما أنا فيه من ألم ومرارة وعذاب !

(تتساقط على مقعدها فى شبه اغماءة فتسارع اليها الوصيفات ، وتنتقل اليها الملكة تى متظاهرة بالاشفاق . بينما يضيع فى القاعة تأثر عميق)

تى — (فى أمومة كاذبة) بنيتى ! . . عزيزتى ! . . ماذا ألم بك من هذا الساحر ! ؟

سينوتم — (متجها الى الملك) مولاى ! . . قد أصبحت نهائيا تحت تأثير السحر ! فما يبطل تأثيره حتى تفارق الحرارة هذه الشفاه التى عقدت الطلاسم ، وأذاعت الصيغ (مشيرا الى أوزيران) مولاى ! مرنى بما أفعل . . مرنى فأنا يدك المنفذة ، وطاعتك العمياء .

(الملك ينظر اليه ذاهلا لا يجيب ـ تقف الملكة تى منفعلة فى شيخوختها وكبريائها لتدير دفة الحوادث)

تى — (فى صوت رفيع) يا الأشراف والحكام والوجهاء . . . هل هى سياسة ؟ أم هو نضال دينى ! ؟

أوزيران — (وقد صمت الجميع) يامولاتى . . إن معركة الدين هى معركة السياسة . وإنى ما كنت لأستنفد أيامى الباقية فى صناعة تمثال للملكة إلا لأستخلص من مدى أضوائه ، وحدود صراحته مبادىء الدين والسياسة معا ! إن هذه الثورة الصغيرة ستتمخض عن السلام المنشود !

تى — (فى ضراعة مؤثرة) أما منكم من يعاجل هذا الكافر بضربة سيف ؟

أوزيران — كيف يضرب السيف الميت يامولاتى ! أنظرى إلى هذا الزورق ! لقد مات الموت على أيديكم ، وأصبح الخلود وشاح هذا العالم ! حتى المتآمرين من أبنائه !

سينوتم — (الى الملكة تى) مولاتى ! الملك صامت لا يجيب . الملك واهن لا يتحرك (هامسا) لقد استحوذ عليه الساحر !

تى — (مشيرة الى الموجودين) وهؤلاء الصامتون الواهنون ! (متوسلة اليهم) أيها الجالسون المحدقون فى المأساة ! إذا كنتم لا تستطيعون شيئا فانصرفوا . انصرفوا ودعوا الملكة وأولادها فى رعاية الأطباء والكهنة . انصرفوا فان مليككم فى حاجة إلى الراحة العميقة . لقد أعطاكم كل شىء حتى قوام حياته (الى سينوتم مشيرة الى أوزيران) إنى

ياسينوتم أترك إليك هذا الرجل !

« لا تكاد تنتهى من عبارتها حتى يقتحم القاعة ضابط من ضباط الحرس بينما يتجه أصحاب أوزيران اليه للالتفاف حوله ، وهم حارحاب ونخت ومنا وآى ورااموزا »

ضابط الحرس — (حائرا لمن يتجه) مولاى .. لقد أُخذنا .. القصر محاصر من كل مكان .. الجماهير التى شهدت احتفال الصباح تحولت كلها بتأثير السحر إلى جنود يحملون الرماح والتروس ، ويضعون على رؤوسهم الخوذ !!

« حركة اضطراب وقلق وتحمس »

سينوتم — (مسرعا) يارمس ! فليصعد جنـدى إلى قمة القصر وليعط الاشارة للجيش

« يذهب رمس ويتبعه الضابط »

تى — إذن لقد بدأت المعركة !!

سينوتم — (الى أوزيران فى تهكم) مغامر يسير إلى حبائل الشيطان فما يكون نصيبه أيها السيد ؟ التنكيل .. التعذيب .. الموت (يمسك مضرب القرص) مكانكم أيها الرجال .. لا تضطربوا .. ولتشهدوا موت هذا الساحر الزنديق فى هذه اللحظة !

اسخرنوس — (واقفا فى اضطراب) ياإلهى ! أليست هناك معونة من السماء ؟ ماذا تفعلون بنا فى خلال هذه القصة الغريبة ؟!

« يدخل أوسركاف فى هـذه اللحظة فى ردائه العسكرى وقد علا هتاف الجماهير فى الخارج . يتوقف سينوتم وقد خالط وجهه الحذر التساؤل والدهشة »

سينوتم — أوسركاف ! ! أهكذا انتهيت بسرعة ! ؟

أوسركاف — (منحنيا للملك) مولاى إنى فى طاعتك (الى سينوتم) اضرب القرص بشدة أيها الرجل !

سينوتم — (مبتهجا) لحظة واحدة أيها السادة وينتهى كل شىء !!

« يضرب القرص ضربات عنيفة متوالية فيتصاعد منه رنين حزين رهيب . وفى هذه اللحظة يسمع صرير مزاليج ترفع ، ثم يفتح الباب ذو الستار الأحمر بيطء على مصراعيه . يظهر على عتبته أمازيس وحده فى حلته العسكرية ـ يتقدم أمازيس مسرعا من عرش الملك وقد عقدت هذه المفاجأة الألسن »

أمازيس — (دانيا من الملك فى كياسة وخضوع) مولاى ! أنقذ الحصون المخربة ! وارفع علم الدولة الذى نكسته الهزائم ! وامدد يدك إلى جنودك المضيعين فى الشمال !!

سينوتم — (مأخوذا من الرعب) ويلك يا أوسركاف .. كيف جاز لك أن تفعل ؟

أوسركاف — أمازيس ! . . . إن الله يباركك ، والوطن يباركك ، فانفخ فى البوق للحرب !

« أمازيس يتراجع خطوة وينفخ فى بوقه ، تسمع من الخارج على الفور ألحان عسكرية قديمة للجيش المصرى . الملك يتلفت حواليه ويصغى . أوسركاف يتجه إلى الموجودين ؟

أيها السادة ! لقد بدأت الحرب . وذهب أبناؤكم ليكونوا قاهرين ، لا ليكونوا أذلاء (فى صوت مزدحم) أيها السادة ! قفوا !!

إن اللحن الذى تقدم فتوحات الملك أمنوفيس الثالث يعزف الآن !

« يقفون فى خشوع وارتياب . تتناول الملكة نفرتيتى يد الملك فى استعطاف »

نفرتيتى — مولاى ! — إنها ذكريات والدك !!

« الملك كأنه لم يسمع صوتها . يدخل رمس مروعا وقد ظهر من ورائه عند الأبواب اليسرى جنود كثيرون من الحرس . يجلس الواقفون »

أوسركاف — « الى حارمحاب مشيراً نحو سينوتم » عليك بهذا الكاهن !

سينوتم — (مستنجدا) رمس ! لقد سقطنا فى حبائل المتآمرين . أنقذ الملك !

تى — لقد ذهبنا ضحية الاستسلام !

رمس — (دهشا) كل هذا ! كيف تجرؤ يا أوسركاف ؟ أما آمنت يوما بعقيدة واحدة ؟ سلم سيفك !

أوسركاف — اغمد سيفك أنت يا رمس . انى أقتلك ، فلا روية لى حتى أنجز هذا الأمر

رمس — قد غرك نفوذك فى الجيش ! ولكنك لا تبلغ اليه إلا جثة هامدة !

اوسركاف — نفوذى فى الجيش ، ونفوذى فى الحرس (مناديا للجنود الشارعى الرماح وراء الأبواب) يا جنود رمس !

الجنود — (فى صوت متحد) اوسركاف !!

رمس — (مسقطا فى يده) خيانة فى كل مكان !

تى — (مضطربة والهة) انكم لن تقتلوا الملك !!

اوسركاف — كلا ! اننا ننقذه فى اللحظة الأخيرة ! وننقذ العرش .

(يتملص سينوتم ويقرع القرص بشدة فيتجه أوسركاف الى حارحاب الذى قبض عليه بيد من حديد)

اذهب به الى غرف الضباط (الى نخت ومنا مشيرا الى الزورق) وأنتما فلتحملا هذه الخدعة الكهنوتية الى حيث تموت مع هذا الرجل .

(يحتاط به الثلاثة ويخاطبه أوسركاف)

لقد أرقت قواك ياصاحبي على هـذا الناقوس الأجوف . فالأسرى الذين تآمرت معهم على اغتيال الجميع قد غادروا اخيتاتن عند الفجر

سينوتم — (مدمدما) يا إلهى ! خيانة مشرفة ! وغدر محدق ! لقد ألمت النار بكل منافذ النجاة !! ليست هناك رحمة منتظرة ! ورجع التـدبير المحطم ، والحلم الذاهب يشيع السم فى مفاصلى .. (الى أوزيران) الويل لك أيها الساحر حينما نلتقى مرة أخرى .. فى سقر !!

(يخرجون به)

أوسركاف — (متجها الى الملك) مولاى ! الآن يزول كل خطر ، فأعيد اليك السلطان والطاعة . اليك وحدك . ان جيوشنا تتقدم

فى هذه اللحظات مسرعة على ضفاف النيل لانقاذ الحاميات ، واسترجاع المدن ، وتأديب العصاة . لاشىء نخشاه بعد اليوم ، ولا يخشاه فرعون (مشيرا الى امازيس) فهذا الفتى الذى يحسبونه خطرا على أمن الدولة سنقذف به وبجيشه المتطوع هذا المساء إلى تلك الميادين الرهيبة البعيدة ! فان عاد عاد ظافراً . وإن مات احتسبه الوطن عند الله . أما أنا فستبقينى عن القيام بهذا الواجب المقدس الذى طالما حضضت عليه ، وشجعت له رغبتى فى التكفير عما كان منى من الأثم البالغ فى حق قسمى لطاعة الملك ، والخضوع الأبدى لمشيئته . فى هذه اللحظة التى تم فيها إنقاذ العرش والوطن من أخطار لا يجوز أن أتحدث عنها أضع يامولاى حياتى ثمناً لكل ما كان من عقوق وجسارة .

(يركع أمام الملك واضعا سيفه أمام ركبتيه بينما يمتشق أمازيس سيفه)

مولاى ! إن الانتظار لبغيض ! فمر هذا الفتى الشجاع المطيع يضرب رأسى بين يديك ، ويبلل بدمى هذه الخطيئة التى لا تغتفر ! عسى أن يلين قلبك على من تحسبهم متآمرين ، ويتجلى غفرانك وتنظر إلى هذا الأمر من بعدى كأنه قضاء أمنت عليه قدسية الموت

(يتقدم اوزيران بقرب اوسركاف فى خطى وئيدة حازمة)

أوزيران — مولاى إنك لا تقتل البطل ! وإنى لأحق بهذا الذى

سعت إليه همته ، فالموت منى قاب قوسين ، وقد تم ما منحت من أجله القوة والعصمة والشباب . وإنى لأعلم يامولاى أن فى دمى عنصراً آخر قد يبرد الغلة ، ويطفىء الظمأ ، ويصلح ما أفسده اختلاف الرأى ، ويكون أجدر قربان لسلام الملك .

(همهمة إشفاق وتأثر)

أوسركاف — لا تسمع إليه يامولاى . مرنى . . أنا الذى خدعت وخنت واستلبت . أنا الذى أمرت ونهيت وأنت جالس تنظر !

أوزيران — بل مرنى يامولاى ، حتى يقتل الابن أباه غير متردد ، فما يكون أبلغ هذه الطاعة بعد ذلك العصيان . ولتحمل الرياح الصادقة إلى الجهات الأربع أن فى مصر رجالا لا يقدرون لأرواحهم ثمنها تحت الذروتين الوطن والعرش !

أوسركاف — مولاى ! رهينان بهذه الخطيئة فاختر منهما من شئت

أوزيران — قد تثبت العرش فى هذا اليوم على صخرة راكزة من نحت القوى الالهية ، فلا حرج أن تبلل قوائمه المذهبة بدماء الرجلين : الكاهن والقائد ! وإنى لآمر ولدى أن تكون ضربته على عنقى حازمة غير مترددة .

تى — (ضارعة) اخناتون . . ولدى . . قد زال نصف الخطر
فأزل بكلمة منك نصفه الباقى !

(الجميع يتطلعون الى الملك . . يقف فى أعياء ناظراً هنا وهناك . تتطلع اليه الملكة شاحبة واجفة . . وتمر لحظة طويلة رهيبة تتعلق فيها الانفاس)

الملك — (بصوت ضعيف حزين) أصدر حكمى بعد الصلاة !

(ستار)

المنظر الثانى

(جدار من جدر القصر الملكى . فى الناحية اليمنى درج رخامى يصعد إلى احد الابواب)
الوقت — أوائل المساء
ألحان فرق عسكرية تتخللها قرعات كبيرة للحزن . يهبط كاموس متأثرا يقلب خنجراً فى يده ويهذى بلهجته الغريبة التى هى خليط من كلمات الآخرين وقد شمله الحزن والجنون)

كاموس — إضرب . . إطعن . . إضرب . . إطعن ، فى القلب ، فى العطف الأيسر ، تفر ، تطاق ساقيك للريح . قتلوا أبى . . كيف قتلوا أبى . . حتى أقتل مثلهم (مكررا) إضرب . اطعن . اضرب . اطعن فى القلب ، فى العطف الأيسر ، تفر ، تطلق ساقيك للريح . قتلوا أبى . مات اخناتن . سمنخكرع ملك . أوزيران لم يمت بعد . طردوا كاموس . كاموس شريد ، يمضى بين الحقول ، يمضغ العشب ، يتسول فى القرى ، يبلى حذاؤه ويسير حافى القدمين . . كاموس . الـكاهن كاموس . . اليتيم . (مهتاجا) إن يدى تضطرب فى مستقرها . (متحالما) ما أروع هذا المنظر ، أين المصورون والنقاشون والملونون (مهدداً) أخشى أن أقد ضلوعك يا آبى . (متوسلا) أريد سيفا . . . وعلمونى كيف أضرب (متهكما ومشيرا الى خنجره) خذ هذا الخنجر . . اطعن . . اضرب فى القلب ، فى العطف الأيسر ، تفـر ، تطلق ساقيك للريح ! ! (يبدو عليه الارتياع) ياالهى ! إن روح أبى تملا المكان !

(يسمع وقع اقدام فيسرع مختبئا وراء الدرج من ناحية اليمين يهبط
أمازيس فى حلته العسكرية وكاويت فى ثياب العرس متساندين)

أمازيس — سعيد . . سعيد . . . رغم الحزن الشامل . أسمع هناك صهيل الجياد ، وموسيقى الكتائب فأحس كأن مهمازى يوشكان أن يخزا الارض فتفزع بنا !

كاويت — عندما أذكر اللحظة القدسية ، وقد باركنا أبوك الشيخ ، وأسر فى أذنى أن اتبعى زوجك إلى الحرب . وضمدى جراحه بيديك

أمازيس — من لنا !! سنقضى شهر الزفاف على صهوة الآبلق !

كاويت — تسطع الشمس على سيرنا الحثيث ، وتنير النجوم فراشنا الراكض

أمازيس — (منحنيا عليها) أنت رديفتى إلى الأبد . نجتاز بين أرماح هذه المعركة مخترقين أوزار الحياة وويلاتها إلى السكون والخلود .

كاويت — (تطوقه مأخوذة) أى أمازيس حبيبى . هنا . . وهناك وفى أى مكان أنت فيه . . السكون والخلود !

(يقبلها ممسكا بيدها - يتطلع فى معصمها الى سوار من الجوهر)

أمازيس — السوار المرصع ! هدية الملكة ! ما أعظم ما يزخر به قلب هذه المرأة الصغيرة الجذابة من الشعر والحب !!

كاويت — فلترحمها الآلهة أينما كانت فى هذا الخطب الذى منيت به . . . المسكينة . . . أرملة فى زهرة الشباب !

أمازيس — ولتترع الآلهة معها أرض مصر وسماءها ونيلها الجارى حتى نعود . تقدمى ياحبيبتى ، تقدمى ! إنى لأخشى الأحداث أن تفجأنا قبل المضى . لا أريد أن يحول بيننا وبين الرحيل حائل مهما عظم .

كاويت — (متحالة) ما أحب السير الوئيد ، ويدى فى يدك ! أتتعجل هكذا وقد سبقنا الآخرين على تشوقهم ؟

أمازيس — ينبغى أن نكون فى مقدمة هذه الامدادات . إنها من صنع يدينا

كاويت — (ضاحكة) بل أراك تفر من الرقباء ياأمازيس . يالك من عاشق وقد أصبحت زوجا !

أمازيس — (يقبلها ويشدها من ذراعها) ياحبيبتى ، إنى لا أفر .. إننى انتفض .. أتمنى لو تخفق على جنبينا معا تلك الأجنحة التى نحسها ولا نراها ، تقدمى ! إن قلبى يطفر

كاويت — (ومعصمها فى يده مرتجفة) أمازيس .. مهلك معى .. إن قلبى يتسرب ملء الوجود !

(يذهبان . تهبط سيتأتن شاردة تتطلع إلى الطريق حيث مضى أمازيس وكاويت وتعزف على مزهرها عزفات حزينة غير منتظمة وتنشد فى صوت أذهله الالم)

قائلى خلا ّن فيما غنما ليتنى أفصحت حتى علما
علم تنتصر إفى ركبهما وإلى الأحزان أنضو علما

ترجف الأوراق مما لثما   وتهى الآفاق مما بسما
قد جرى الحب على أرضهما   فأحال الناس فيها حلُما
وشباب العمر لما حرما   راح بالكفين يعطى لهما
آه ما أوجع لما ظلمت   رِعيَة الود هوى ما ظلما
خلفانى للردى فى جدث   آده الصبر وقلبٍ وجما
أ كتم الأشواق إلا وتر   جن من كتمى وأسرى ألما

(تذهب على آثارهما والهة — تسمع ضحكة رقيقة وتهبط من الدرج تبوبواى وفى حاشيتها أوسركاف ونخت ومنا وحارمحاب)

أوسركاف — تضحكين . . تضحكين . . حتى فى هذا الوقت ! ؟

تبوبواى — أضحك . . أضحك . . حتى فى هذا الوقت !

نخت — أما تقولين قبلما نغامر فى هذه الحرب ماذا اعتزمته بشأن هؤلاء الفرسان الأربعة الذين يلهثون على أعقابك كالحمير المحملة قللا ! ؟

(تبوبواى تضحك)

أوسركاف — أما من جواب غير هذه الصناجة التى تغمزينها فى حلقك ؟

تبوبواى — إنكم تعلمون . . . إنه حار محاب !

(تمسك يد حارمحاب وتسير الى جانبه)

منا — (محتجا) قد سبق أن وعدتنى أنا يا تبوبواى . أما

تذكرين الحديقة والورد الملثوم ، وركضنا كالطفلين معاً وراء الفراش الهائم ، وما كنا نتدلل به من أسماء الزهور وأوصاف الثمر ؟

نخت — وقد وعدتنى أنا بعد ذلك ياتبوبواى فنسخت وعدك لهذا الغلام المخـــدوع . أما تذكرين سعيك لى فى المكتبة على أطراف أصابعك فى هجعة الظهيرة ؟ أقرأ لك الشعر ، وتهمسين لى بجديد الأخبار ، ونضن بعد ذلك على الهواء أن يحمل خواطرنا ، فنتبادل الرسائل على أوراق البردى الصغيرة ونحن جلوس منهمكين كالتلميذين نسر إلى هذه الأوراق بالذى لم نستطع لقداسته وخطورته ولذته التى لا تطاق أن تتلفظ به الشفاه

أوسركاف — وأنا أيتها الفتاة ، أما كان لى معك النصيب الذى تخبو معه ترهات هذين الطفلين . أما رقصت لى مرة فى أضحية منعزلة عن الناس ، على أديم البهو الملكى ، تتخايلين أمامى ولى وحدى كظلال الشمس الملتهبة ، فى أثواب رقيقة ، تكادين تكونين عارية ، فلما ركضت من خلفك ركضت كالجرذ إلى غرفة الملكة . أنسيت هذا ؟ أم نسيت يوم أمسكت بك فى غرفتى تضعين لى الملح فى زق الخمر ، فلما هددتك بالسوط اعترفت لى بكل ما كان فى قلبك من الحب ، وأعطيتنى خمس قبلات لا ريب فيهن ، قبل أن أطلق سراحك ، كل قبلة منهن كانت وعداً صريحاً ينسخ كل ما يزعمه هذين المخدوعين منى وعود ! ؟

تبو بوای — قد وعدتكم جميعاً إلا هذا (تشير الى حارمحاب) ..
وهذا هو الذى أحببته !

حارمحاب — (باسما) أتسخرين منى ياتبو بواى على مرأى منهم ؟

تبو بواى — (فى وجد واستعطاف) كلا يا حارمحاب ... إنك تقرأه فى عينى

أوسركاف — تباً لنا جميعا ... لا يأخذك هذا الفتى إلا قتالا

تبو بواى — كلا .. بل تقتتلون أنتم الثلاثة ... والظافر منكم أعطيه طفلتى منه (ضاحكة) .. ثقوا أننا لن نبطىء عليكم !

(تلتصق بحارمحاب)

أوسركاف — ياعزيزى نخت ومنا .. لا قدرة لنا على هذه البنت وقد اختارت ! فلتحتسبوا معى للصبا البرىء كل ما كان منها فى تلك العهود والأيام . ولنتقدم الساعة فان الجيش الزاحف يفتقد أبطاله .. هناك الحب والمجد ... هناك العرائس والخمر والقبل .. هناك وصال الحياة الدائم !

(يمضى أوسركاف يتبعه نخت ومنا)

تبو بواى — (محدقة فى حارمحاب) ما أمر ذينك الصمت والبعد اللذين أخذنا بهما أنفسنا طوال ذلك الوقت !

حارمحاب — حتى فى هذه اللحظة لا نستطيع أن نتكلم !

تبو بواى — (تلتصق به) لا حاجة بنا إلى الثرثرة .. نحن ممتزجان

(يخرجان - يهبط آى فى كل عدته وطفولته)

آى — الأولاد الشياطين . . أين ذهبوا وخلفونى ؟ وكأن لا سعى لى معهم ؟ قرن ! أيستصغرون شأنى ! الويل لهم . سأريهم هناك كيف يكون الصراع والقتال ، ومن منا بطل الأبطال ! ؟

(يركض وراءهم - يهبط أوزيران وقد شملته الشيخوخة وبجانبه الملكة فى ثوب الحداد)

أوزيران — مولاتى بالله عليك كفى . إرجعى إلى حرمك

الملكة — (متعبة) اوزيران . . أستاذى . . سيدى . . دعنى أخطو معك آخر خطوة !

اوزيران — أخشى عليك حدة الألسن

الملكة — لا تخش من شىء . . . وددت لو أمضى معك إلى النهاية . أحس هنا خارج القصر كأنما النسمات تمد لى ذراعيها لتطير بى إلى ذلك السكن البعيد المجهول ، وأن هذه الطرقات الشائعة فى الظلام تناديني بهمسات قوية أن تعالى . . تعالى يانفرتيتى ، ليس وراءك فى هذا القصر إلا الأحزان والآلام ! !

اوزيران — (فى أسف) إنى موشك أن أموت . فالى أى وحدة جديدة تلقين بنفسك

الملكة — أوثر أن أجثم على ذكراك

أوزيران — لو أن بعثتى كانت للحب لخلدنا معاً على هذه الأرض ، حتى نلقى الآخرة فى غرار البهجة والشباب ، ولكنى رددت عارية

القوة منذ خطا على النيل أول جندى يزحف لنصرة العلم ، وخطا إلى الهيكل أول كاهن لنصرة الدين ... تأخذنى الساعة رِعدة منذرة (تسنده الملكة) لشد ما أنا راض سعيد . إنك باسم القوى الضائعة يا نفرتيتى ، ولكن ... حمداً لله ، ان أحدنا لن يجنى على الآخر . ستعودين إلى قصرك وأصهارك وبناتك . إن الملك الجديد فى حاجة إلى مشورتك . لن يقول أحد أبدا إن نفرتيتى فرت مع مثالها !

الملكة — (باكية) رحم الله اخناتون !

اوزيران — مات راضياً عن الحياة . عرف من حقيقة الوجود فى قبسة الموت أكثر مما عرف الفلاسفة طيلة حياتهم !

الملكة — (متخيلة) عند ما تحملنا أجنحة أوزريس إلى الوادى الآخر ، وتعودُ إلى أجسادنا الأرواح

(يخرج كاموس من مخبئه فى هذه اللحظة متسللا خلف اوزيران) .

اوزيران — سنلتقى جميعاً على الحب الابدى الذى لا أحقاد فيه ، ولا تفاضل ، ولا غموض

الملكة — (ملتصقة الى ذراعه فى قشعريرة) هذه الذكريات العلوية . أنا كالمأخوذة إلى جانبك يا اوزيران

اوزيران — إن الموت يسعى من ورائى ... أواه لا سبيل إلى تحقيق أى حلم . قد انقضى الأجل !

(يطعنه كاموس ثم يطلق ساقيه للريح جهة اليمين . يسقط اوزيران ويده على قلبه)

ما أصدق وعد الآلهة !!

الملكة — (تجمد من الرعب وتصرخ) اوزيران ! . . أيها الخالد ! (تنحنى عليه) ويلاه . . أتقتل بين يدى . . أرنى . أرنى أين جرحت ؟ ضع يدك هنا (تضع يده مضطربة على قلبه) هنا . . تشدد حتى أحضر الطبيب !

اوزيران — (فى صوت هادئ) أنفقد هذه اللحظات المليئة بالحكمة والفطنة يانفرتيتى ، ونفقد هذا الحنان السابغ فيما بينى وبينك من أجل ساعة تافهة يمدها الطبيب ؟ إنى أموت قرير العين . كنت أتوقعه . ولقد ناجيت الله أن يكون مصرعى بين يديك !

الملكة — (فى نشيج مؤثر) اوزيران . . . اوزيران . . . كيف تم ذلك . . . أأفقدكما إلى الأبد فى يوم واحد ! ؟

اوزيران — (باسما) إنى ذاهب بدمى إلى أخناتون حتى يشهد على وجهى طبيعة الأرض ، ويصدق !

الملكة — (مرتاعة من سرعة احتضاره) اوزيران . . اوزيران . . يدك تبرد فى يدى وأنا لا أستطيع أن أقدم لك الحياة

اوزيران — لا أريدها . انها تفر فرار ذلك القاتل المتلاشى فى الظلام . نفرتيتى ! املأى عينىّ من عينيك . أنت وطنى ، ماأبلغ اقتران أشعتهما بعزف تلك الموسيقى المضطرمة على ضفاف النيل

الملكة — (غيروامية) اوزيران . . جسدى يبرد معك . . إننى

أنظر إلى الحياة والموت فى وقت واحد .

اوزيران — ياله من انتصار صغير يتقدم هناك . . . إنى ما وهبت حياتى إلا للأجيال القادمة . نفرتيتى ! أتستطيعين أن تبصرى بهاتين العينين القديستين روحى الطائرة . تنبهى إليها ! إنها جذوة صغيرة من نار الحق ستظل تشاغل القلوب على وادى النيل ، حتى ذلك الختام البديع الذى مازالت تخفيه الاستار . . . نفرتيتى . . . كفكفى دمع عينيك . ليس هذا الكاهن . . كاهن آمون . . . ابتهلى بدعواتك . . ابتهلى الى الله . . أن ينصرفيك القوة . . . . إن يديك الآن فى يد القدر

(تحدق نفرتيتى فى وجهه خائفة . يموت فترتمى على جثته باكية فى نهنهة طويلة فاجعة بينما ترتفع رويدا موسيقى سيتأتن الحزينة وهى عائدة الى القصر)

ستار



بعث الآلهة

« كتاب للمؤلف هو مجموعة من أساطير العصر الحديث .
قصص جديدة الأنماط ، سامية الغاية ، تقرأ فيها سديم العبقرية
لشعب عريق فى دور التكوين »

